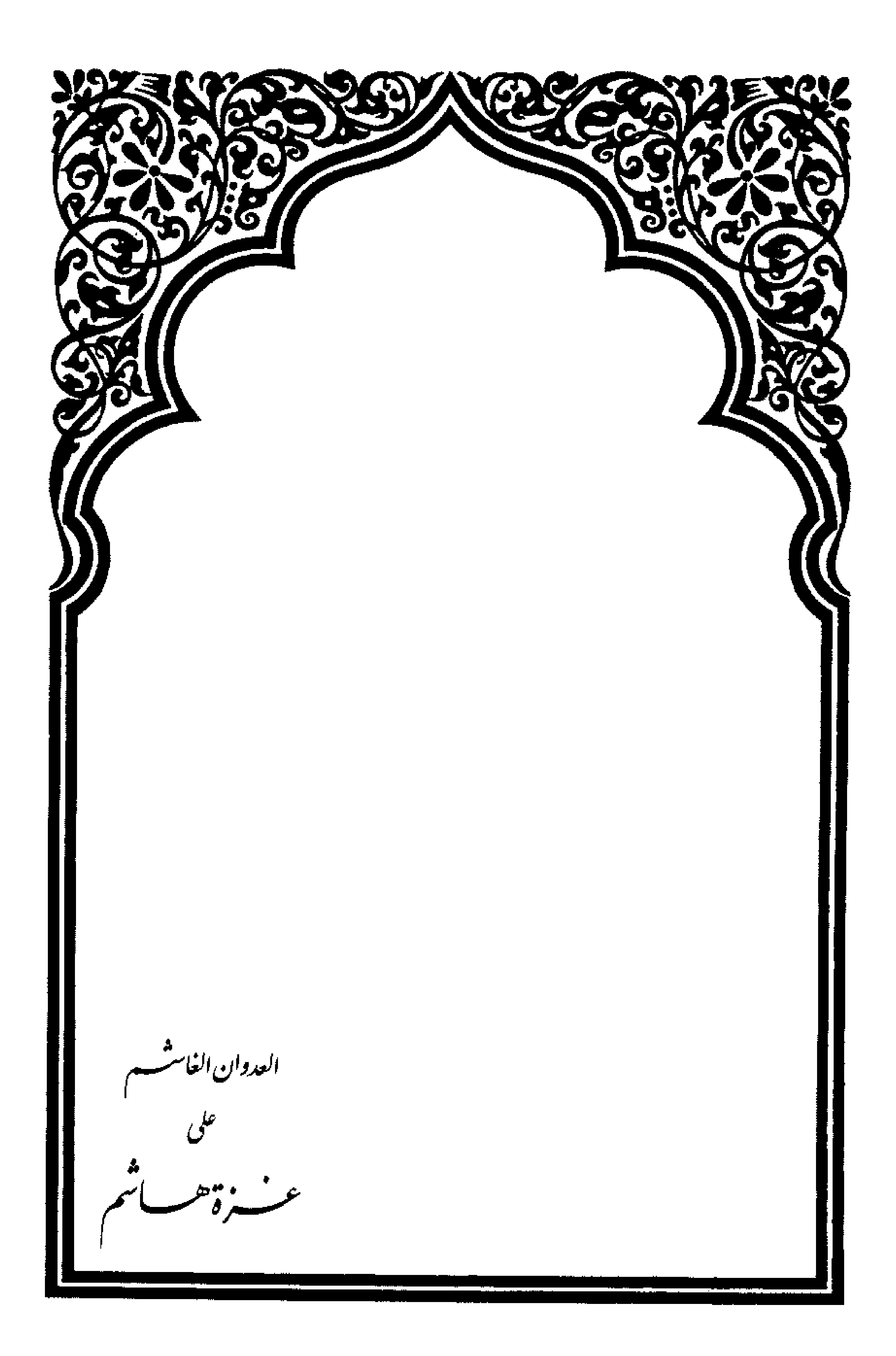
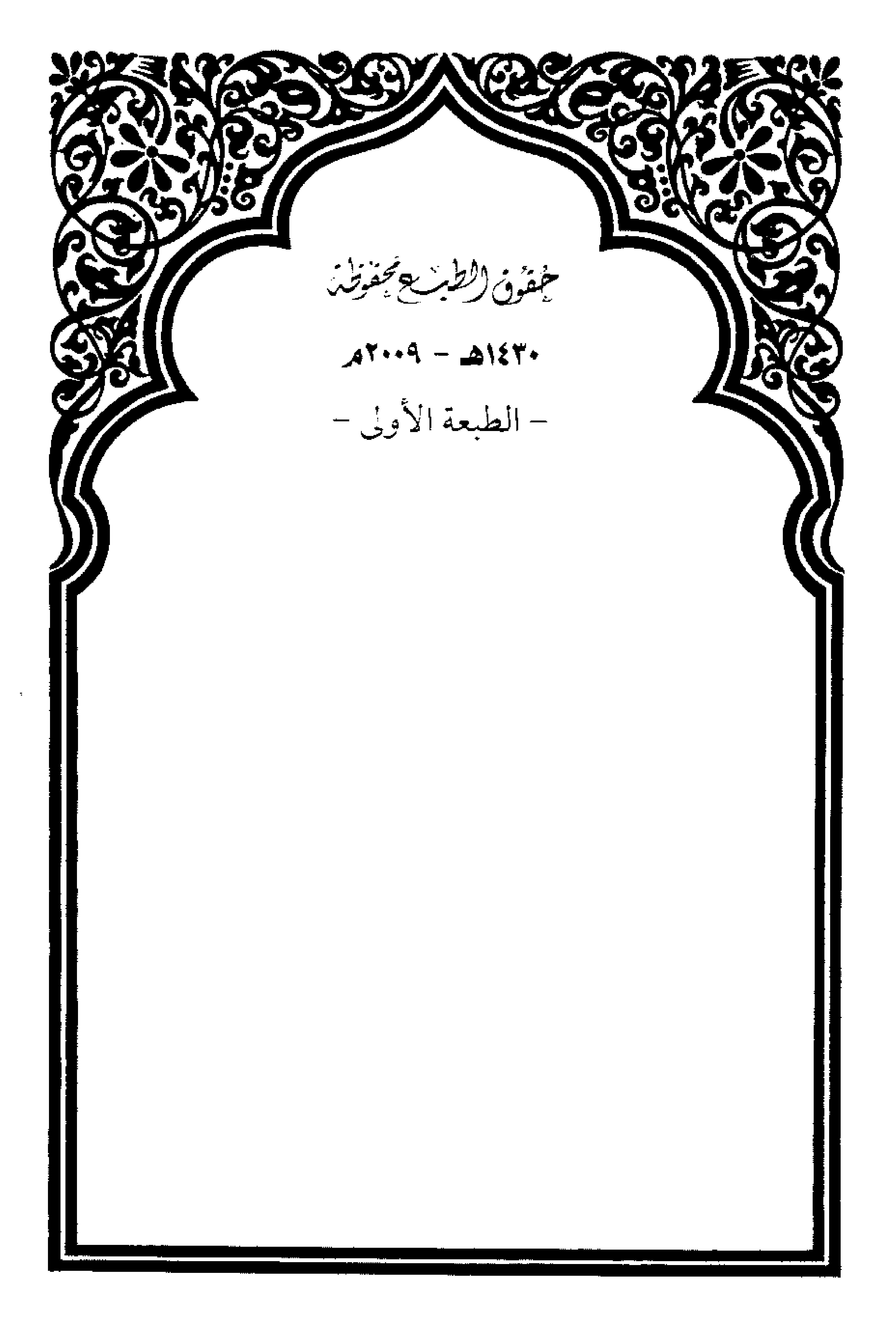


العدوان الغاشم

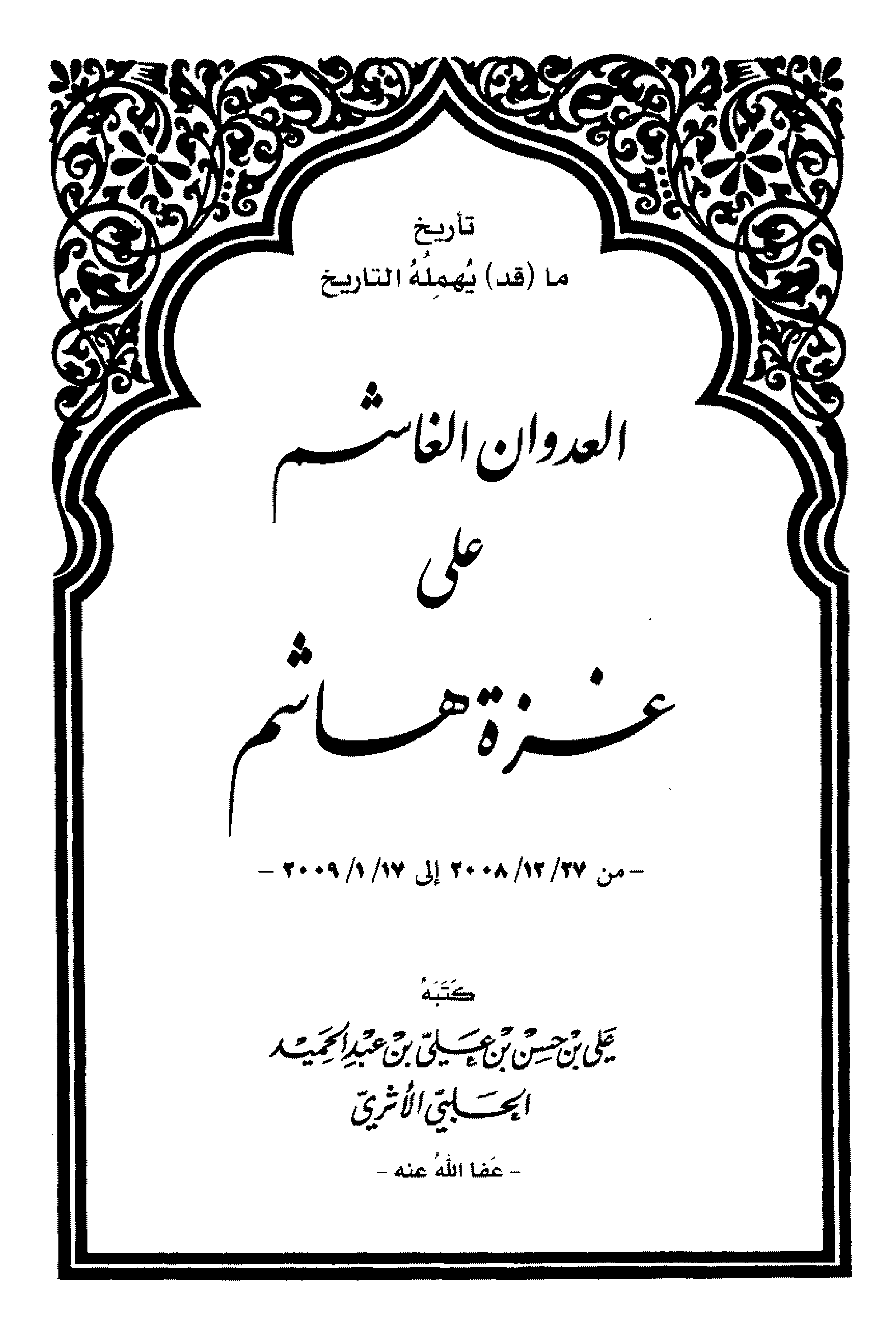
على

غزة هاشم



١٤٣٠هـ - ٢٠٠٩م

- الطبعة الأولى -



تأريخ
ما (قد) يُهمِلُهُ التاريخ

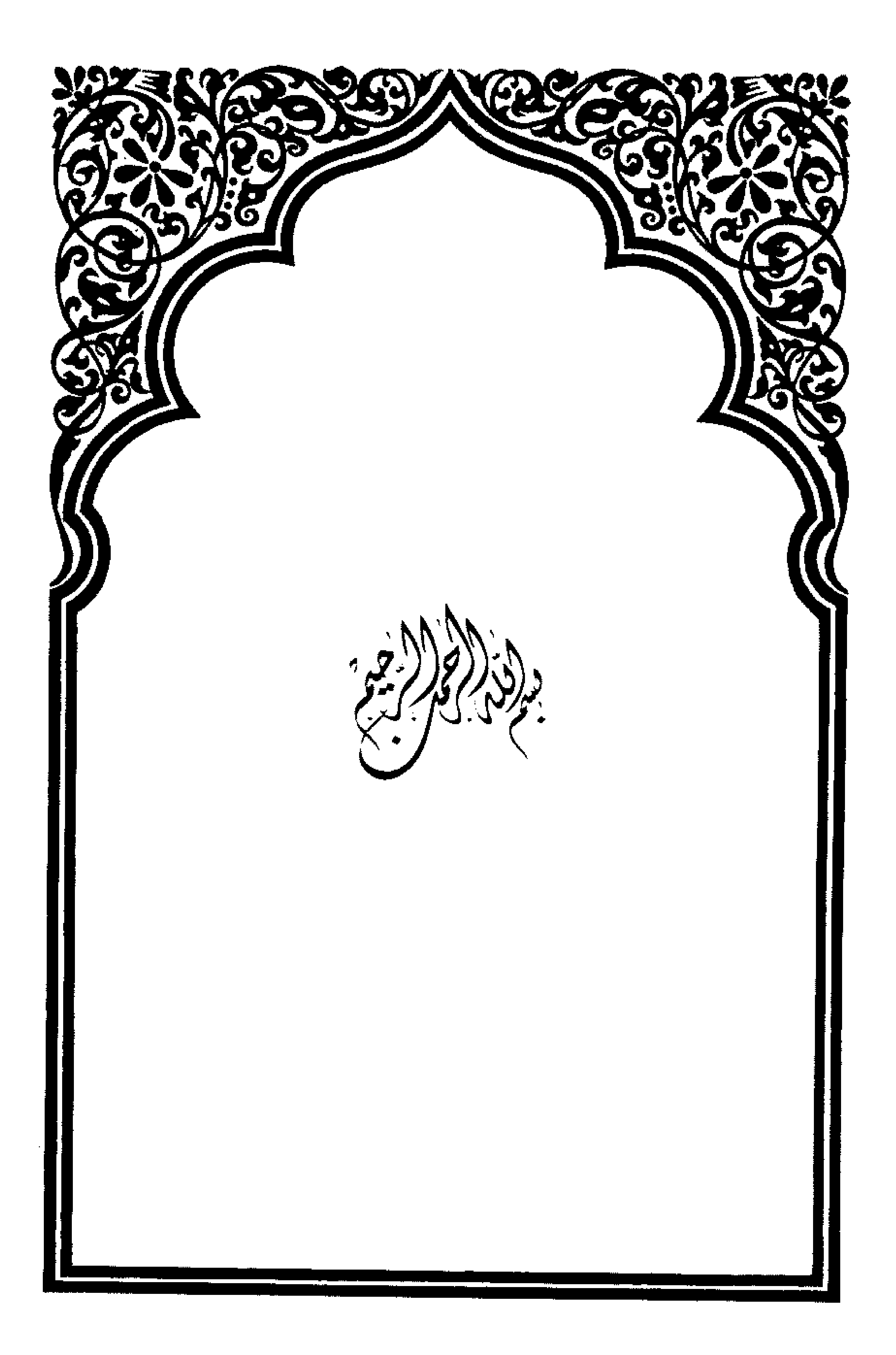
العدوان الغاشم على غزة هاشم

- من ٢٧/ ١٢/ ٢٠٠٨ إلى ١٧/ ١/ ٢٠٠٩ -

كَتَبَهُ

علي بن حسن بن علي بن عبد الحميد الحلبي الأثري

- عفا اللهُ عنه -


بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

إِنَّ الحَمْدَ لله، نَحْمَدُهُ، وَنَسْتَعِينُهُ، وَنَسْتَغْفِرُهُ، وَنَعُوذُ بِالله مِن شُرُورِ أَنْفُسِنَا، وَسَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا، مَنْ يَهْدِهِ الله؛ فَلا مُضِلَّ لَه، وَمَنْ يُضْلِلْ؛ فَلاَ هَادِيَ لَه.

وَأَشْهَدُ أَنْ لا إِلَهَ إِلاَّ الله -وَحْدَهُ لا شَرِيكَ لَه-.

وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّداً عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾.

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً ۚ وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾.

أمـا بعـد:

فَإِنَّ أَصْدَقَ الحَدِيثِ كِتابُ الله، وَأَحْسَنَ الهَدْيِ هَدْيُ مُحَمَّـدٍ ﷺ، وَشَرَّ الأُمُورِ مُحْدَثاتُها، وَكُلَّ مُحْدَثَةٍ بِدْعَةٌ، وَكُلَّ بِدْعَةٍ ضَـلالَة، وَكُـلَّ ضَلالَةٍ فِي النَّار.

وبعـد:

فقد قال اللهُ -تباركَ وتعالى-: ﴿قُلْ هُوَ مِنْ عِندِ أَنفُسِكُمْ﴾؛ بياناً لواقِعٍ (بَشَرِيٍّ) لا يُرْضِي؛ بل إلى خَلَلٍ مُرٍّ -فيهم- هُوَ يُفْضِي:

قـال الإمـامُ ابـنُ القـيِّمِ في «مـدارج الـسالكين» (٢/ ٢٤٠) -مُفَسِّراً-:

«فـأخبرَ أنَّ أذَى عـدوِّهم لهـم، وغَلَبَـتَهُم لهـم: إنَّـما هـو بسببِ ظُلمِهِم».

وقد قال جماعةٌ مِن السَّلَفِ -تفسيراً-:

«يقولُ: قل هم: أصابكم هذا الذي أصابكُم مِن عندِ أنفسِكُم

بخلافِ أمري، وتَرْكِكُم طاعتي؛ لا مِن عند غيرِكم، ولا مِن قِبَلِ أحدٍ سِواكُم»[1].

وقال شيخُ الإسلامِ ابنُ تيميَّةَ في «الجواب الصحيح لِمَنْ بَدَّلَ دينَ المسيح» (٦/ ٤٥٠):

«وحيثُ ظَهَرَ الكُفَّارُ؛ فإنَّما ذاكَ لِذُنُوبِ المُسلمين التي أوجَبَتْ نَقْصَ إيمانِهم، ثُمَّ إذا تابوا -بتكميلِ إيمانِهم- نَصَرَهُمُ اللهُ».

وقال -رحمهُ اللهُ- في «مجموع الفتاوى» (١١/ ٦٤٥):

«.. وإذا كان في المسلمين ضَعْفٌ، وكان عدوُّهُم مُستظهِراً عليهِم: كان ذلك بسببِ ذنوبِهم وخطاياهُم؛ إمَّا لتفريطِهِم في أداءِ الواجباتِ -باطناً وظاهراً-، وإمَّا لِعُدْوانِهم بتَعَدِّي الحدودِ -باطناً وظاهراً-».

قلتُ:

فكيف إذا انْضَمَّ إلى ذلك: كثرةُ العَدُوِّ -عَدَداً وعُدَداً-...

(١) «تفسير الطبري» (٤/ ١٠٨).

وشراستُهُ... وخُبْثُهُ...

واشتدادُ ضعفِ الأُمَّةِ -أكثرَ وأكثرَ-..

وتكالُبُ الأعداء...

وخِذلانُ الأصدقاء؟!!

... فلا شَكَّ أنَّ البلاءَ سيكونُ أشدَّ، والمصيبةَ ستكونُ أعظمَ..

وهذا -فوا أسَفَاهُ- ما بَلَوْناهُ في (حربِ غَزَّة) -الأخيرة-، والتي وَقَعَتْ في أوائلِ شهرِ الله المحرَّم سنة (١٤٣٠)، واستمرَّتْ ثلاثةَ أسابيعَ...

ولقد كانت قلوبُنا تتقطَّعُ لِـهَوْلِ ما يجري..

فَمَرِضَتْ نُفوسُنا...

وطاشَتْ عُقولُنا...

وما السببُ في هذا -كُلِّهِ- إلاَّ أنَّنا ضَعُفْنا عن أنْ يكونَ لنا يَدٌ بارَّةٌ في نُصْرَةِ إخوانِنا وأهلِنا...

حتَّى الدُّعاءُ .. بَخِلَ الكثيرون بهِ -وللأسفِ الشديد-!!

وَرَكَنَ الأكثرونَ إلى عواطِفِهِم، وحماساتِهم، وثائرة نفوسِهم[1]!!

وتوهَّمَتْ فِئامٌ مِن الناسِ أنَّ النصرَ كائِنٌ بمُظاهراتِهم، ومسيراتِهم، ومهرجاناتِهم -حَسْبُ-..

وهم -أجمعون- بعيدُونَ في ذلك -كُلِّهِ- عن التربيةِ الشرعيَّةِ الجادَّةِ للأُمَّةِ، التي فيها عِزُّها، وفيها نصرُها، وقِيامُها..

وقد قال الإمامُ ابنُ القيِّم -رحمهُ اللهُ- في «إغاثة اللهفان» (٢/ ١٨٢):

«... فإذا ضَعُفَ الإيمانُ: صار لِعَدُوِّهم عليهم مِن السبيل

---

(١) وقد أثَّرَ الإعلامُ الشيعيُّ الرافضيُّ في بعضِ (أهل السُّنَّةِ)؛ غافلين عن تاريخِهم الأسود، ومُتغافلين عن ماضيهم المُشين!

وانظُر كتابي «مُجمل تاريخ الدعوة السلفية في الدِّيارِ الأُرْدُنِّيَّة» (ص٧٦)، وما سيأتي -هُنا- (ص٦٢).

بحَسَبِ ما نَقَص مِن إيمانِهم؛ فهُم جعلوا لهم عليهم السبيلَ بما تَرَكُوا مِن طاعةِ الله -تعالى-.

فالمؤمنُ عزيزٌ، غالبٌ، مُؤَيَّدٌ، منصورٌ، مَكْفِيٌّ، مدفوعٌ عنه -بالذَّاتِ- أينما كان، ولو اجتمعَ عليه مَن بأقطارِها- إذا قام بحقيقةِ الإيمانِ وواجباتِه -ظاهراً وباطناً-».

وقال الإمامُ القُرْطُبِيُّ -المُتوَفَّى سَنَةَ (٦٧١هـ) -رحمهُ اللهُ- في «تفسيرِه» (٣/ ٢٥٥) -في تفسيرِ قول الله -تعالى-: ﴿كَم مِّن فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةًۢ بِإِذْنِ ٱللَّهِ﴾:

«فيها تحريضٌ على القِتالِ، واستِشْعارٌ للصَّبْرِ، واقتداءٌ بِمَنْ صَدَقَ ربَّهُ.

وهكذا يجبُ علينا نحن أنْ نَفْعَلَ!

لكنَّ الأعمالَ القبيحةَ، والنِّيَّاتِ الفاسدةَ مَنَعَتْ مِن ذلك؛ حتى يَنْكَسِرَ العددُ الكبيرُ مِنَّا قُدَّام اليسيرِ مِن العَدُوِّ -كما شاهدْناهُ غيرَ مَرَّةٍ-، وذلك بما كَسَبَتْ أيدينا...

فالأعمالُ فاسدةٌ، والضعفاءُ مُهْمَلُون[1]، والصبرُ قَليلٌ، والاعتمادُ ضعيفٌ، والتقوى زَائِلَةٌ».

... ولقد كانت دروسُ ومُحاضراتُ وخُطَبُ إخوانِنا المشايِخ السلفيِّين في بَلَدِنا (الأُرْدُنّ) -أثناء (حرب غَزَّة) -هذه- مُتَوَجِّهَةً -كُلُّها- إلى أصلٍ علميٍّ منهجيٍّ واحدٍ؛ وهو: **ربطُ القلوبِ بربِّ العالمين؛ وتحفيزُ النُّفوسِ إلى التوحيد الحقِّ، والعقيدةِ الصحيحة، والعلمِ النافعِ المُوَرِّثِ للعملِ الصالحِ؛ والذي هو أعظمُ مقوِّماتِ النصر، وأهمُّ أسبابِهِ...**

مُرْجِئين -وفَّقَهُمُ اللهُ- إلى حِين: دروسَهُم، وخُطَبَهُم المُعتادةَ -في الفِقْهِ، والحديثِ، والتفسيرِ، والعقيدةِ-؛ مُحَوِّلِينَها إلى هذا التأصيلِ الذي ذكرتُ -إرشاداً، وتوجيهاً-[2].

---

(١) لو فتحنا حرف الميم -أو كسرناهُ!-: لكان كلاهُما صواباً في وَصْفِ هَوانِ حالِنا -فاعِلاً ومفعولاً!-!!

اللهمَّ (افتحْ) علينا، و(اكسِر) عدوّنا...

(٢) وما في كتابي هذا: تفريغُ ثلاثةٍ -لي- منها.

ومشايخُنا -جزاهُم اللهُ خيراً- فيما كانوا فيه قائمِين، وإليه داعِين، وعليه حاثِّين-: تجنَّبُوا ذيَّاك التشويرَ (الحماسيَّ!) الفارغَ[1] الذي مارَسَتْهُ بعضُ الجماعاتِ الحِزبيَّةِ؛ والتي لا حُضُورَ لها -حقيقةً- إلاّ في أمثالِ هذه الأجواءِ (الفوضويَّة=الهُلامِيَّةِ!)؛ التي لا عِمادَ لها في إطارِ العِلْمِ، ولا اعتمادَ عليها في دائرةِ الحقِّ -عاطفةً (حماسيَّة)، وتهييجاتٍ سياسيَّة-!!

وجانَبُوا -أيضاً-أعني: مشايخَ السلفيِّين -باركَ اللهُ فيهم- صَنيعَ بعضِ الجماعاتِ الحِزْبِيَّةِ الأُخْرَى؛ مِن ذلك الإهمال التَّامِّ لأحوالِ إخوانِنا في (غَزَّة)، ورِعايَتِهِم -ومُراعاتِهم- فيما وَقَعَ عليهِم، فضلاً عن الإعراضِ عن ذلك الرَّبْط الشرعيّ بالعقيدةِ والتوحيد -الذي هو أصلُ الأُصول-!!

ولكنْ؛ (**فاقِدُ الشَّيْءِ لا يُعطِيه**)...

---

(١) والَّذِي هو مُوَلِّدٌ للغَوْغائيَّة!

بل مِن أجلِّ أسبابِ الانفلاتِ والتفلُّت!!

وكُنَّا -جميعاً- والفضلُ للمَوْلَى -عزَّ وجَلَّ- على الأصلِ الوسط الحقِّ؛ كما هي طريقةُ أهلِ السنَّة[1] في كُلِّ أمرٍ تجاذَبَهُ بالباطلِ طَرَفان (!)؛ وذلك على معنى ما قيل:

كِلا طَرَفَيْ قصدِ الأُمورِ ذميمُ

وإضافةً إلى هذا كُلِّه: كان هُنالك تواصُلٌ -شِبْهُ دائمٍ- مع إخوانِنا، وأهلِنا في (غَزَّةَ)، نتحسَّسُ أخبارَهم، ونطمئنُّ عليهم، ونسعى في حاجاتِهم -قَدْرَ الجَهْدِ والطاقةِ-؛ ممَّا وَلَّدَ في نفوسِهم -والحمدُ لله- وحدَه- عظيمَ الأمل، وبَعَثَ فيهم كبيرَ الرَّجاء...

ناهيكَ عن عددٍ مِن الجهودِ الفرديَّة -أو الجماعيَّة- التي قام بها كثيرونَ مِن إخوانِنا السلفيِّين -بحَسَبِ استطاعتِهم- في نُصرةِ إخوانِهم المنكوبين، وتوجيهِ أهلِ الخير والجِدَةِ إليهم؛ ومَدِّ يدِ المعونةِ لهم -مِن خلالِ الوسائلِ الرسميَّةِ المُتاحةِ؛ لإعانتِهم،

(١) انظُر «الوصيَّة الكُبرى» (ص١٩-٢٤) -لشيخِ الإسلام ابنِ تيميَّةَ-.

والأخذِ بأيدِيهِم- نظرةً إسلاميَّةً شامِلة، لا نظرةً حِزبيَّـةً مُتقـاصِرةً خامِلة-!!

... أكتُبُ هذا -كُلَّهُ- مُضْطَرًّا له، غيرَ راضٍ عنهُ؛ بل مـدفوعاً إليه؛ لأَرُدَّ على كاتبٍ (قَمِيء!)؛ جَرَّدَ قَلَمَهُ (الوبِيء) -في كثـيرٍ ممَّـا يكتُبُ!- للغَمْزِ في الدعوةِ السَّلَفِيَّةِ، والطَّعْنِ بعُلمائِها، ومشايخِها[1].

وهو يَجِدُّ في إظهـارِ نفـسِه بثـوبِ النَّاصِـحِ الأمـين! ولَبُـوسِ الكاتبِ المُنصِف!!

ولكنَّهُ ثوبٌ رقيقٌ؛ كَشَفَ سَوْأَتَهُ، وكَسَفَ عورتَه...

---

(١) في الوقتِ الذي يمدحُ فيه -بنوعِ غُلُوٍّ!- بعضَ دُعاةِ الفـضائيَّات الجُـدُد- حِزبيِّين مُتعَصِّبين، وصوفيِّين غارِقين-!!.. فأين حرصُهُ المزعومُ-إذن-؟!

ومَـن هـو الأَوْلَى بالإنكـارِ الحـقِّ؛ بـدلاً مـن هـذا الإنكـارِ الباطـلِ المُغايرِ للحقِّ؟!

... ثُمَّ رأيتُ لهُ -بَعْدُ- مقالاً -بتاريخ: ١٠/ ٣/ ٢٠٠٩ -في (سـبيلِهِ!) -نفسه- بعُنوان: (السلفيُّون والـشيعة.. ومحنـة التعـايش!) يُغـازِلُ (!) فيـه الشيعة الشَّنِيعة؛ بعباراتٍ مُتناقضةٍ صريحة!!!

... يا (قوم): لقد كِدتُم تُفسِدُونَ على عُقلاء المُسلِمين إخلاصَهُم!!

لقد كَتَبَ ذَيَّاك الكاتبُ (الغُمْرُ!) في جريدةٍ (أُرْدُنِّيَّةٍ) جائرةٍ عن (السبيلِ!) مقالاً ظالماً بعُنوان: (سلفيُّو الأُرْدُنّ وحَرْب غزَّة.. لِمَ كُلُّ هذا الغِياب؟!)[1]!!

بانِياً مقالَهُ -عاملَهُ اللهُ بِعَدْلِهِ- على التطاوُل على أستار الغَيْبِ؛ بما تضمَّنَهُ تَعَدِّيهِ -هذا- مِن الظُّلمِ والتجنِّي، والجهلِ والتجاهُلِ، والحِقدِ المُتوارَثِ بغيرِ سببٍ إلاّ الهَوَى!!

و(لعلَّ) بعضَ عُذْرِهِ (!) فيما سوَّدَ: أنَّنا -نحنُ السَّلَفِيِّين- لا نَمْلِكُ الوسائلَ الإعلاميَّةَ و(الإعلانيَّة!) التي تُمَكِّنُنا مِن الوُصولِ إلى (نَبْضِ!) الشارع -بحسب التعبير الصحفيّ السياسيّ-!

مع التنبيه النبيه إلى: أنَّنا لو (!) مَلَكْنا تِلْكُمُ (الوسائلَ) -حَقًّا-؛

(١) بتاريخ: ٣/ شباط/ ٢٠٠٩م.

فإنَّ الوُصولَ إلى (الشوارع!) ليس هـدفاً لنـا، ولا طريقـاً معروفـاً عَنَّا!! لا مِن قريبٍ ولا مِن بعيد! لا في كثيرٍ ولا في قليل!!

أمَّا الجوابُ (المُباشر) على سؤالِهِ القاصِر الخاسِر؛ فأقولُ:

لَمْ نَغِبْ -يا هذا- إلاّ عن ساحاتِ التَّحَزُّبِ الظالمةِ...

لَمْ نَغِبْ إلاّ عن التبجُّحِ الإعلاميِّ المُتَذَبْذِب...

لَمْ نَغِبْ إلاّ عن العُيُون المتربِّصةِ بالسُّوء...

لَمْ نَغِبْ إلاّ عن القُلوبِ المَليئةِ ظَنًّا باطِلاً بالمُسلمين..

لَمْ نَغِبْ إلاّ عن (النَّظَّارات) السَّوْداء التي لا تَرَى إلا ما تُرَى...

... وهذا غيابٌ -والله- أشرفُ مِمَّا يُعاكِسُهُ مِن ذَيَّاك الحُضور -ولو بالسِّنِيِّ والشُّهُور!-!!!

﴿وَمَن لَّمْ يَجْعَلِ ٱللَّهُ لَهُۥ نُورًا فَمَا لَهُۥ مِن نُّورٍ﴾..

﴿... لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ۚ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْغَفُورُ﴾..

وأمَّا ما أُقِيمَ مِن (مهرجانات النصر[1]!) -بعد انتهاء الحرب-؛ فلا أذكُرُ فيه إلاّ كلمتين:

الأُولى: أنَّ هذا -مِن حيثُ الواقعُ والأثَر- أقربُ إلى أنْ يكونَ استعراضاتٍ حزبيَّةً (حماسيَّةً!)؛ بغيرِ هَدَفٍ، ولا جوهر!

وما أجمَلَ ما قالَهُ أخُونا الكريمُ فضيلةُ الشيخ مشهور حسن في كتابِهِ «السلفيُّون وقضية فلسطين» (ص٧٦):

«في غيابِ (البُنيان العَقَدِيِّ الصحيح)، و(المنهجيِّ السليم)، يغدُو مِن المستحيل -مِن وجهةِ نظرٍ شرعيَّةٍ -النَّصرُ، وهو مِن[2] أهمِّ وسائلِهِ- بعد الإعداد-...».

---

(١) وواللهِ؛ إنَّنا للنَّصرِ مُحِبُّون، وبه راغِبُون، وإليه مُشتاقُون.. ولكن؛ هل يكونُ النَّصرُ بما نخدعُ به أنفسَنا؟!

ونُغالِطُ به واقِعَنا؟!

ونُضْحِكُ -بسببِه- علينا غيرَنا؟!

(٢) إنْ لمْ يكن الأهمَّ!

الثانية: كلمة الإمام العِزِّ بنِ عبدِ السَّلام؛ نُقارِنُها بالواقعِ، ونُقايِسُ الواقعَ بها؛ قال -رحمهُ اللهُ-:

«**التولِّي يومَ الزَّحْفِ مَفْسَدَةٌ كبيرةٌ، لكنَّهُ واجبٌ إنْ عُلِمَ أنَّهُ يُقْتَلُ في غيرِ نِكايةٍ في الكُفَّار**؛ لأنَّ التغريرَ في النُّفوسِ إنَّما جاز لما فيه مِن مصلحةِ إعزازِ الدِّين بالنِّكايةِ في المُشركين، فإذا لم تحصلِ النِّكايةُ: **وَجَبَ الانهزامُ**؛ لِـمَا في الثُّبُوتِ مِن فَوَاتِ النُّفوس مع شِفاء صُدور الكُفَّار، وإرغام أهل الإسلام.

وقد صار الثُّبوتُ -هُنا- مفسدةً محضةً، ليس في طَيِّها مصلحةٌ»[1].

وبخاصَّةٍ أنَّ الجِهادَ (الحَقَّ) «عبادةٌ -وعبادةٌ عظيمةٌ جدًّا-؛ ولكنَّ هذه العبادةَ لا تُقبَلُ عند الله -عزَّ وجَلَّ- إلاَّ إذا خَلَصَتْ لله؛ **ليس لحزبيَّةٍ، أو دفاعٍ عن أرضٍ**، والأرضُ كُلُّها لله، يُمَلِّكُها مَن

(١) «قواعد الأحكام» (١/ ١١١).

يشاءُ مِن عبادِه»[1].

.. هذه تَقْدِمَةٌ بينَ يَدَيْ ما أعانَنِي اللهُ -تعالى- عليه -على وجهِ الاختِصار-؛ في مسألةٍ كُبْرَى؛ عَجَزَتْ عنها دُول، وضَعُفَتْ أمامَها شُعوب، وتكسَّرَتْ بين أيديها أقلامٌ، وتوالَتْ عليها مِن السِّنين عُقود...

ولا يعلمُ نهايتَها إلاّ الحيُّ القيُّوم -جَلَّ في عُلاهُ، وعَظُمَ في عالي سَماه-.

وليس لنا مِن سَلْوَى حقٍّ نذكرُها، ونُكَرِّرُها إلاَّ آياتُ القرآنِ المجيد؛ بما فيها مِن تَثْبيت، وبما تحملُهُ مِن تأييد، وبما تتضمَّنُهُ مِن توجيه -تعبُّداً، وتعلُّماً-..

ومِن أَجَلِّ ذلك -وأجملِهِ- قولُ الله -تبارَكَ وتعالى-:

---

(١) مِن مُحاضرة «وجوب التحرِّي في الفتوى»؛ لشيخِنا الإمام الألبانيِّ -رحمهُ اللهُ-؛ بتاريخ: ١/ ٥/ ١٩٩٣.

﴿فَإِمَّا نَذْهَبَنَّ بِكَ فَإِنَّا مِنْهُم مُّنتَقِمُونَ . أَوْ نُرِيَنَّكَ الَّذِي وَعَدْنَاهُمْ فَإِنَّا عَلَيْهِم مُّقْتَدِرُونَ . فَاسْتَمْسِكْ بِالَّذِي أُوحِيَ إِلَيْكَ إِنَّكَ عَلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ . وَإِنَّهُ لَذِكْرٌ لَّكَ وَلِقَوْمِكَ وَسَوْفَ تُسْأَلُونَ﴾...

... وإنَّا لله، وإنَّا إليه راجعون[1].

وكَتَب

عَلي بن حَسن بن عَلي بن عَبد الحَميد

الحَلبيّ الأثريّ

- عفا اللهُ عنهُ -

ضُحَى يوم الثلاثاء: ٦/ ربيع أول/ ١٤٣٠هـ

(الأردن) - عمّان / مدينة طارق

---

(١) كَتَبَ فضيلةُ الأخ الدكتور الشيخ محمد موسى آل نصر -حفظهُ اللهُ-، وزادَهُ مِن فضلِه- بعد قراءَتِهِ كتابي -هذا- ما نصُّه-:

«قرأتُ كتابَكَ.. فوجدتُهُ طيِّباً نافعاً، أَخْلَصْتَ فيه النُّصْحَ؛ بعيداً عن الهِياجِ العاطفيِّ، والحماسِ الثَّوْرِيِّ؛ مُدَعَّماً بالأدلَّةِ الشرعيَّةِ، والأُصول العلميَّةِ...

فجزاكَ اللهُ خيراً، ونَفَعَ بك».

و(أنا) أقولُ لفضيلتِهِ: «جزاكَ اللهُ خيراً، ونَفَعَ بك»...



- ١ -

غزّة

فداء.. ونداء..



غزَّة: فِداء..ونِداء..

٩/ محرَّم/ ١٤٣٠هـ

يا (غزَّةَ) الإباء...

نحنُ جميعاً -كُلُّنا- سواء..

ولو تنوَّعت ديارُنا أو الأسماء...

بِقِسمةِ الأطراف والأَجْزاء..

إلى متى البلاء؟!

إلى متى الجُروحُ والإغماء؟!

إلى متى الدِّماء؟!

إلى متى الأشلاء!؟

إلى متى يظلُّ حالُنا هَبَاء؟!

وجَمْعُنا غُثاء...

إلى متى نظلُّ دونَ خُبزٍ، دون ماء؟!

أو كهرباء؟!

فلْنكْشِف الغِطاء:

إلى متى خِذلانُنا يا أقرباء...

... يا أسوياء؟!!

إلى متى سَيَنْمَحِي الظلامُ في الصباحِ والمساء؟!

إلى متى يا أُمَّتِي الصَّمَّاء...

على عيونِكِ الغِشاء؟!

متى متى يأتينا الارتواء...

لِنُسقِيَ الظِّماء؟!

متى سيستقيمُ الالتواء؟!

متى سَيَظْهَرُ السَّناء؟!

متى متى يكُفُّ مَن أساء؟!

متى متى يُرَجَّعُ الرَّخاء؟!

متى متى الشِّفاءُ مِن ذا الدّاء؟!

متى متى نَقُضُّ للأعداء...

مضاجعَ الأهواء؟!

متى متى تُمسَحُ عَنْ عيونِنا الأقذاء؟!

متى متى سَتَسْعَدُ النِّساء...

مِن فرحةٍ تُنهي العَناء؟!

متى متى نَشفى بلا دواء؟!

متى متى يكون مُبْرَمُ القضاء...

فيه نهايةُ العِداء؟!

يا (هُودُ) مهما يعظُمِ الشَّقاء..

ومهما تَكْثُرِ الأدواء...

وتُكثِروا الصِّياحَ... والعُواء..

وتقتلوا الأحياء....

كما قتلتُمُ -قبلاً- للانبِياء...

بكُلِّ مَكْرٍ واضِحِ الجَلاء...

يا أَنْتُمُ الجُبَنَاء...

ولو قَطَعْتُمُ عنَّا الشرابَ والغِذاء..

وتمنعوا الغَداءَ والْعَشاء..

وتقصِفوا في الصُّبح في العِشاء:

في الصيف في الشتاء:

لن تمنعوا عنّا الهواء..

ولا عواملَ البقاء..

لا لنْ يَحُلَّ أرضَنا فَناء...

لا بُدَّ مِن أنْ يأْتِيَ الوِقاء..

فيه الوَفاء..

لا بدَّ مِن بُعْدٍ عن الجفاء...

ومِن تَجَاوُزٍ للقالةِ البَلْهَاء...

لا بُدَّ مِن أنْ تأتِيَ الأفراحُ في اللِّقاء...

فيها الهَناء...

بالأصدقاء...

لا أنْ نَكُونَ إخوةً أعداء!!

مِن غيرِ أيِّ أوْصِياء...

فلْنُعظِم الأداء..

بغيرِ تَثْبيطٍ ولا إبطاء...

بكلِّ عزمٍ يملأُ الأرجاء..

بالكِبْرِياء..

فلْنُفرح الأبناءَ والآباء..

وكُلُّنا حزمٌ، وكُلُّنا (إباء)...

فَلْنَجْفُ للجَفاء..

فَلْنَحْذَرِ الآثامَ والأخطاء..

فَلْنَتْرِكِ الجُشاء..

مِن كُلِّ بطنٍ غَصَّهُ امتلاء..

فلْنُوقنِ الحقَّ بلا امتراء...

لا نُكثر المِراء...

لا نُهْذِ قولاً كُلُّه هُراء...

يا (غزَّة) السَّرَّاء والضَّرّاء...

فلْتَسْمَعِي لأصدق الأنْباء..

فَلْيَنْتَظِرْ لحقِّنا مَن شاء:

تكاثَرتْ على (خِراشنا) الظِّباء..

تعدَّدت أمامَنا الأشياء..

تفاصَحَ الغوغاء..

تطاوَلَ السُّفَهاء...

قد دُلِّيَتْ بالباطِلِ الدِّلاء..

فلتَسمعوا -يا قومَنا- النداء:

فلْنُكثر الدُّعَاء...

لربِّنا الحميد ذي الثناء...

فلْنُغلقِ العَزاء..

فليس ينفعُ الرِّثاء..

وليس يَصْلُحُ البُكاء...

ولا الغُواةُ الشُّعَراء...

ولا فطاحِلُ الخُطباء..

ولا بلاغةُ البُلغاء..

فحالُنا تُشابِهُ العَماء...

وإنَّنا نقولُ كِلْمةً سواء:

أين القلوبُ البِيضُ في النَّقاء؟!

أين القلوبُ الطُّهْرُ في الصفاء؟!

أين اتِّباعُ الأنبياء؟!

إنْ كان مِنَّا كُلُّ ذا العطاء...

فيه المَضاء...

فالنصرُ حقًّا دائماً هو الجزاء...

مِن ربِّنا المُدَبِّر الأمرَ مِن السَّماء...

هو العظيمُ ذو الآلاء..

هو الجليلُ ذو العطاء...

له يكونُ الالتجاء...

له يؤوبُ ذو الرجاء...

به يُقَرَّبُ النَّجاء...

به تزولُ كُلُّ عَقْبةٍ كأداء...

به يَعُمُّ الأرضَ كُلَّها الأَنوارُ.. والأضواء...

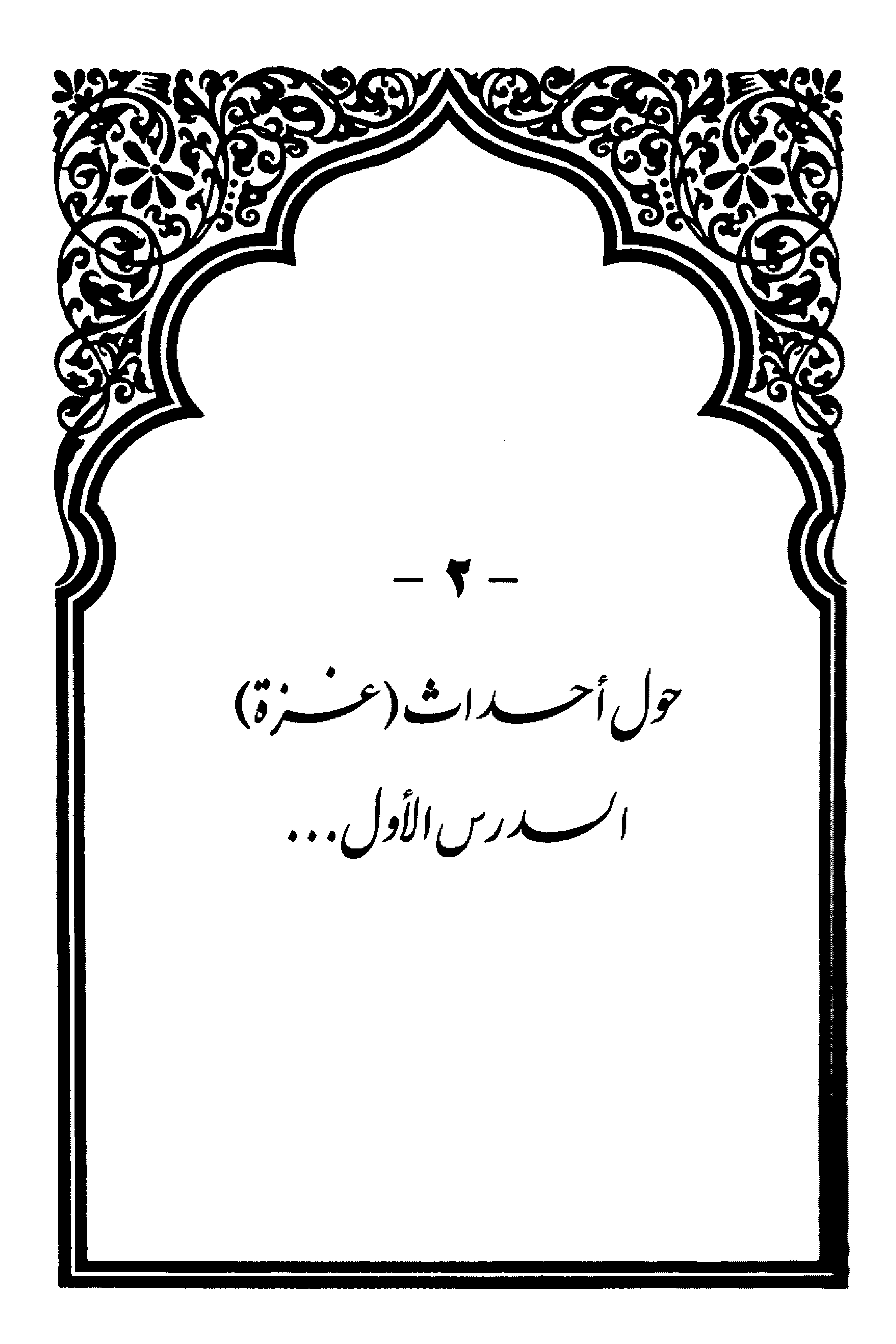
هذا هو -يا قوميَ- الفِداء..

هذا هو الفِداء....

والافْتِداء...

... للشِّرعةِ العَصْماء.





- ٢ -

حول أحداث (غزة)

الدرس الأول...

حول أحداث (غزَّة) / الدرس الأول...

٥/ محرّم/ ١٤٣٠

إنَّ الحَمْدَ لله، نحمدُه ونستعينُه ونستغفرُه، ونعوذُ بالله من شرورِ أنفسِنا وسيئاتِ أعمالِنا، من يهده الله فلا مضلَّ له، ومن يضلل فلا هاديَ له.

وأشهد ألا إله إلا الله –وحده لا شريك له–.

وأشهد أن محمداً عبده ورسوله.

أما بعد:

ماذا أقولُ ودمعُنا يتكفكفُ

مِن حالِ (غزَّةَ) والسواعدُ ترجُفُ

ماذا أقولُ وفي القلوبِ مرارةٌ

مِن هولِ حربٍ والقذائفُ تقذفُ

... كان في ذهني أن أتكلمَ، لكنْ: أكادُ أن لا أتكلمَ!

ومَعَ هذا؛ فلا بد من تعليقٍ وبيانٍ، وإبانةٍ شرعيةٍ كونيـةٍ حـول ما يجري لإخواننا في الله مِـن أهـل (غَـزَّة)، ممَّـن جمعتْنـا وإيـاهم: العقيدةُ الإسلامية، والتـضاريسُ الجغرافيـة، والوحـدةُ التاريخيـة -عبرَ سنين وسنين-.

وقبل أن أذكرَ ما عندي؛ أريد أن أذكر جانباً تاريخيًّا حـول مدينـة (غزَّة)؛ لما في ذلك من إضاءةٍ وإضافةٍ، قـد لا يعرفُهـا الكثـيرون -في غَمرةِ عواطفهم التي لَمْ يستطيعوا ضبطَها! -إلاّ مَن رَحِمَ الله-.

والموفَّق مَن وفَّقَهُ الله.

قال بعض المؤرخين[1]: إن مدينة (غزَّة) مِن أقدم مـدن العـالم، ويقال: إنها رابع مدينة بُنيت على وجه الأرض!

واسم (غزَّة) -فيما قيل- جمع: (غازي)، أو (غُزاة)، وهم الرُّمـاة بالنَّشَّاب -وهو السهم-، ثم تحرَّفت -عبر السنين- إلى (غزَّة).

---

(١) مِن مُقدِّمة «إتحاف الأعِزَّة بتاريخ غَزَّة» (١/ ٢٦) للشيخ عُثمان الطَّبَّاع.
وانظُر «بلادنا فلسطين» (١/ ٢٩٨)، و«الموسوعة الفلسطينية» (٣/ ٣٩٨).

وهي بلدة كنعانية عربية.

وأيضاً؛ قيلت أقوالٌ حول معنى (غزَّة)؛ فقيل: هي بمعنى: القوي، وبمعنى: الكنز، وبمعنى: ما يُدّخر.

وذكر بعضُ الجغرافيين -بياناً لحالها- أنها مدينة شاطئية، فيها قبر (هاشم بن عبد مَناف)[1]؛ لذلك يقال: (غزَّة هاشم)[2].

وهو أحدُ أجداد نبيِّنا الكريم محمد -صلى الله عليه وسلم-.

وهي آخِرُ مدينة في جُند (فلسطين) قبل صحراء (مصر=سيناء).

(١) انظُر «توضيح المشتبه» (٦/ ١٢٤) لابنِ ناصرِ الدِّين الدِّمَشْقِيِّ.
وقد كتبَ إليَّ فضيلةُ الأخ الصديق الشيخ سمير المَبْحُوح الغَزِّيّ -حفظهُ اللهُ- مِن (غَزَّة)-:
أنَّ (قبرَ هاشِم) معروفٌ -الآن- لدى الجميع -في (غزة)-في منطقةٍ سمُها (السِّدْرَة)-، وأنَّ عليه مسجداً!!
وكان هذا القبرُ مَزاراً (!) -قبل سنوات!- وكان أكثرُ زُوَّارِهِ مِن خارج!-، والآن: لا يزورُهُ أحدٌ -والحمدُ لله- وحدَه-...
(٢) وهو اسمٌ مُتوارَثٌ بين أهلِ العلمِ -على كافَّةِ تخصُّصاتِهم-.

وفيها وُلد عددٌ من أهل العلم؛ منهم: الإمام محمد بن إدريس الشافعي - رحمه الله -.

وهي تتميَّز بموقع نادرٍ؛ فهي قريبةٌ من الصحراء -شرقاً-، وقريبةٌ من البحر -غرباً-.

وهذا الجمعُ بين هذَيْن العُنْصُرَيْن عزيزٌ فيما خلق الله -سبحانه وتعالى- من البلاد.

وكان أبو الفداء -المؤرِّخ الإسلامي المعروف- أولَ من وصفها بشكلٍ علميٍّ؛ فقال:

إنها بعيدةٌ عن البحر، تفصلها كُثبان رملية، وفي المدينة حِصن صغير، وقليلٌ من أشجار النخيل، لكن كرومها[1] خصبة.

---

(١) وقد ورد في السنةِ المشرفةِ النهيُ عن تسمية العنب: (كرماً)؛ وهذا ممَّا هُو مشهورٌ على ألسنة الناس، يقولون -مثلاً-: ذهبنا إلى كروم العنب!

وقد علَّل النبيُّ الكريم ﷺ نهيه بقوله: «**إنما الكرمُ قلبُ الرجل المؤمن**»؛ لما فيه من كرم، ولما فيه من معانٍ سامية. =

والكروم هي: عروش الأعناب!

قال: وكانت أيامَ ابنِ بطوطةَ عامرةً -وابنُ بطوطةَ الرحَّالةُ المعروف الذي جابَ الدُّنيا- وإن كان في «رحلته» مغالطاتٌ، وأشياءُ انتُقِدت عليه[1]، لكنَّ الأشياءَ الواضحة لا يُكابَرُ فيها -.

قال: مساجدها كثيرة، وهي محصَّنة، وتغصُّ بالمصلِّين.

فالصلاحُ والاستقامةُ سِمَةٌ قديمة في هذه البلاد الطيبة.

وهناك باحثٌ سويسريٌّ اسمه (هنري فليكل) كتب بحثاً بعنوان: «روح المقاومة القديمة في غزَّة»، يقول:

إن روح المقاومة ليست وليدة العصر الحالي في هذه المدينة، ولكنها سلسلة متداخلة الحلقات؛ فهذه المدينة - أي: (غزَّة)-

---

= والحديثُ: رواهُ البخاريُّ (٥٨٢٩)، ومسلم (٢٢٤٧) عن أبي هريرةَ..

(١) كمثلِ بعضِ نُقولِهِ الباطلةِ عن شيخِ الإسلامِ ابنِ تيميَّةَ -رحمهُ اللهُ-! وانظُر «شرح ابن عيسى على قصيدة ابن القيِّم» (١/ ٤٩٧)، و«فتاوى المنار» (٦/ ٢٥٢٩).

تملك وثائقَ مكتوبـةً تعـود إلى القـرن الخـامس عـشر قبـل المـيلاد -وما بعدها-.

ومِن هذه الوثائق ما يُبيِّن ما قام به بوليبوس في الـسنة (١٢٠) قبل الميلاد -وهو من ملوك (سوريا) القدماء-، وأنه قام باجتيـاح مدينة (غزَّة).

وأشـاد بـسكانِها، وتكـاتُفِ أهلهـا، وروحِ الـشجاعة التـي يَتَحَلَّوْن بها، وكيف أنهم قاوموا الغزوَ الفارسي، وكيـف وقفـوا في وجه الإسكندر.

وقال بعض الشعراء في (غزَّة)، وبيان حالها -قديماً-:

بَـرَزَتْ لهـم والنـارُ سـيلٌ جـائحُ
ونـساؤُها خلـفَ الرجـال تُكـافِحُ

وكذا عـلى أبـوابِ (غـزَّةَ) ينحنـي
هـامُ الطُّغـاةِ ولا يمـرُّ الفـاتحُ

أرضُ الـسيام تفـوحُ بيَّاراتُهـا
فَـيَجِنُّ سـاكنُها بهـا والنـازحُ

مـــا رامهـــا الأعـــداءُ إلا ردَّدت

لحمـي أنــا مــرٌّ وبحــريَ مــالحُ

ونَظَمْـتُ عـلى نفـس هـذا النَّسَق -اليـومَ-أيـضاً- بعـضَ الأبيات؛ فقلت:

اليــومَ (هــودُ) تــستبيحُ حِياضَــها

بالطـــائراتِ وجيـــشُها يتـــواقحُ

وبمجلـسٍ للأمـن أمـسِ تـردَّدوا

حتـــى يموتـــوا أو تُبـــادَ أباطِحُ

طفــلٌ وشـيـخٌ والنـساءُ نـساؤُنا

مــاتوا جميعــاً دونَ أن يتزحزحــوا

هــدموا المــساجدَ والمُـصَلِّي قــائمٌ

ذا حقدُ (صهيونٍ) فلا لـن يُفلِحـوا

فـــاللهُ أكـــبرُ مِـــن ظَلُـــومٍ ظـــالمٍ

والنصرُ يقرُبُ حين تُمسي تُصْبِحُ

لكنَّ صبراً نرتجيه مِن الأُلى
ظُلِموا فنصرُ اللهِ دوماً أنجحُ

... ولا بد من بيان -أيها الأخوة- نَذْكُرُ فيه بعضَ العواملِ المؤثِّرةِ فيما يجري في (غزَّة) -سواء أكانت هذه العواملُ عواملَ شرعيةً أم كونيةً-؛ نذكرها لنتعلَّمَ، نذكرُها لنعتبرَ ونَتَّعِظَ، نذكرُها لنأخذَ عبرةً، وأيةَ عبرةٍ:

فأحوالُ المسلمين -اليوم- لا تسرُّ، وهذا الحالُ فيهم قديمٌ -وللأسف-، بل إن النبي -عليه الصلاة والسلام- قد ذكر ما سيصيبُ المسلمين من ذلٍّ، وما سيصيبُهم من هوان؛ فقال -صلى الله عليه وسلم-: «**إذا تبايعتم بالعِينة، ورضيتم بالزرع، وأخذتم أذناب البقر، وتركتم الجهاد في سبيل الله؛ سلَّط الله عليكم ذُلاًّ؛ لا ينزعُهُ عنكم حتى ترجعوا إلى دينكم**»[1].

---

(١) رواهُ أبو داود (٣٤٦٢)، وأحمد (٥٠٠٧)، والبيهقيُّ (١٠٤٨٤) عن ابنِ عُمَر.

وصحَّحَهُ شيخُنا في «السلسلة الصحيحة» (١١).

فالحلُّ هو: الرجوعُ إلى الدِّين، الدِّين الحقِّ، الدِّين المبنيِّ على الكتاب والسنة، دين الله الذي أنزله على رسوله الكريم -صلى الله عليه وسلم-، والذي فهمه -أعظمَ فهم وأجلَّه وأكبَرَهُ- الصحابةُ، والتابعون، وتابعوهم -من أهل القرون الخيِّرة الخيرية المباركة-.

هو دينُ اللهِ الواجبُ وجودُه في هذه الأرض، وليس دينَ أهل الانحراف والتحريف، والغُلُوِّ والتخريف -سواء أكان ذلك كبيراً أم صغيراً-.

فكثيرٌ من الناس يستسهلون البدعَ والمنكراتِ، ويتهاونون فيها، ولا يعلمون كم هي خَطِرَة! وكم هي مؤثِّرة!

ألم يقل أبو الدرداء لأم الدرداء -وقد جاءت تشتكيه-: يا أم الدرداء! لو بُعِث محمد فيكم؛ لَـمَا عرف من دينه إلا الصلاة[1]!!

وأبو الدرداء صحابيٌّ، وكان يخاطب زوجتَه، والتابعون متوافرون، وبقيةٌ من الصحابة موجودون، فكيف الحالُ اليومَ؟!

---

(١) رواهُ البخاريُّ (٦٢٢).

والرسول -عليه الصلاة والسلام- يقول: «**ما مِن عام إلا والذي بعده شرٌّ منه، حتى تَلْقَوْا ربكم**»[1].

فالأمرُ ليس مجردَ عاطفةٍ تتردَّد بها القلوب! **وإن كانتِ العاطفةُ لا بد منها، ولا نستطيع أنْ ننسلخَ منها، أو أن نبتعدَ عن وجودها في قلوبنا وعقولنا!!** لكنَّ العبرةَ أن تنضبطَ هذه العاطفةُ بضوابط الشرعِ.

لنتكلَّم بكلام شرعي، لنتكلَّم بكلام يلتئِمُ به واقعُنا مع شرعنا، وينضبطُ به، لا أن نطالبَ بشيء كأنما هو خيالات! كأنما هو أحلام وأُمْنِيَّات!

هكذا واقعُ كثيرٍ من الناس -وللأسف الشديد-، فالأمور التي دونتُها على عجَل -وعلى وجَل!- مِن أجلِ الدرس- متعدِّدة، وهي عواملُ كانت أسباباً فيما يجري في (غزَّة)، بعضها كونيٌّ، وبعضها شرعيٌّ.

(١) رواهُ البخاريُّ (٦٦٥٧) عن أنس.

ولقد تَضامَّتْ هذه الأسبابُ -جمعاً أو تفريقاً-، وتضافرت، وتوافرت: لِتُوقِعَ هذا الألم، ولِتُوْقِعَ هذا البأسَ في هذه الثُّلة من المسلمين المستضعفين العُزَّل!!

ولا أبالغ حين أقول: عُزَّل! فهذا واقع المسلمين هناك؛ لا يكاد يساوي -وللأسفِ الشديد- (واحداً بالمئة) ممَّا عليه اليهود، وممَّا عند جيوشهم وطائراتهم -قاتَلَهُمُ الله أنَّى يُؤْفَكُون-...

أمَّا في نظري: فأعظمُ شيء كان سبباً لهذا البلاء، هو هذا التفرُّق بين المسلمين -أنفسِهم-، بين الشعب الفلسطينيِّ -نفسِه-، في البلاد الفلسطينيَّة -نفسِها-، وعلى الأرض الفلسطينيَّة -نفسِها-.

واللهُ -تبارك وتعالى- نهانا عن التفرُّق، وبيَّن لنا أنه سببُ كلِّ بلاء؛ فقال: ﴿وَلَا تَنَٰزَعُواْ فَتَفْشَلُواْ وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ﴾؛ تذهب: تنمحي وتضمحلّ، ولا يبقى لها وجود، ولا يبقى لها قِوام ولا قيام.

فقبل أن ننظر إلى أعدائنا -وهم معروفون، وعن أنيابهم مُكَشِّرُون، وللفرص مُتصيِّدون، وللوقائع مُتربِّصون -يجبُ أنْ

نظرَ إلى أنفسنا: أين نحن من قول الله -تبارك وتعالى-: ﴿قُلْ هُوَ مِنْ عِندِ أَنفُسِكُمْ﴾[1]؟!

لماذا ننسى؟!

لماذا نتناسى؟!

نقول هذا والألمُ يعتصرنا، لكنْ؛ لا بد من الاعتراف بالحقيقةِ؛ الحقيقةِ المُرَّة.

لا بد من الاعتراف أن خلافَنا مع بعضنا، وتفرُّقَنا فيما بيننا قد يكون أشدَّ من ضرب أعدائنا لنا؛ لأن هؤلاء أعداء معروفون، لا ننتظرُ منهم رحمةً، ولا ننتظر منهم عطفاً، بينما نرى أن خلافَنا مع بعضنا شديدٌ مديد -وبلا رحمةٍ، ومِن غيرِ عطفٍ-فوا أَسَفاه-...

هل نسينا الدماءَ التي سالت في (غزَّة) بأيدي الفلسطينيِّين[2]

---

(١) قارِن بما تقدَّمَ في (المقدِّمة) (ص٥-٦).

(٢) ومِن أعظمِ الأسف -مِن جهةٍ-، وأشدِّ الكَذِب! -مِن جهةٍ أُخرى- ما نَسَبَتْهُ إليَّ -قبل أكثر مِن سنة!- بعضُ الفضائيَّات (الفلسطينيَّة!)=

=مِن دَعوَى أنِّي أفْتَيْتُ بجوازِ قَتْلِ (فُلان الفُلانيّ!) مِن القيادات الفلسطينية (الإسلاميَّة)!!!

وقد كتبتُ حينَها (بتاريخ: ١٠/ صفر/ ١٤٢٩) بياناً علميًّا رَدَدْتُ فيه هذه الفِرْيَة النَّكراء، ووضَّحْتُ فيه الحقَّ مِن خِلافِ تِلْكُمُ الكذبةِ الصلعاء؛ التي لا تزالُ -وللأسفِ الشديدِ- (تُجَدَّدُ!) بين الحينِ والآخَر!!

فكان ممَّا قُلْتُهُ -ثَمَّةَ-:

«... اتصل بي، وكتب إليَّ: غيرُ واحدٍ من الإخوة الحريصين، والعديدُ من الأصدقاء المحبين: يستفسرونني حول ما نسبه إليّ بعضُ من لا أعرف -ضمن مؤتمر صحفي لِـ(....)-: من فتوى مزعومة تناقلتها -بدون تثبت!- بعضُ الفضائيات -مِمَّا لم أرَ أو أسمع!-: تتضمّن الافتراء عليّ -لا الإفتاء منّي!- بأني أجزتُ اغتيال بعض القيادات (الإسلاميَّة) الفلسطينيَّة؛ مِمَّا يعلم الله -سبحانه وتعالى- أنه كذب محض، وافتراء صريح.

وإيضاحاً للحقِّ، وبياناً للحقيقة؛ أقول:

أولاً: الدعوة السلفية دعوة شرعية علمية، قائمة على (التصفية والتربية)؛ في ضوء كتاب الله، وسنة رسول الله -صلى الله عليه وسلم-، حرصاً على إيمان الأمة، وأمنها، وأمانها. =

= ثانياً: ليس من منهج هذه الدعوة المباركة دخول المعترك السياسي (المعاصر!)، أو الخوض فيه؛ فضلاً عن التعرض للفتاوى الثورية أو التثويرية، أو الأعمال الانتقامية أو التشغيبية!

ثالثاً: من منهج دعوتنا المباركة -الواضح-: رفض مبدأ تجويز الاغتيالات والقتل الغادر -أصلاً-؛ حتى لو كان هذا الاغتيالُ مقصوداً به كافرٌ مستأمَنٌ يقيم في بلاد المسلمين؛ فكيف بالإفتاء بقتل مسلمٍ -أيِّ مسلمٍ- في أرضه-؟!

رابعاً: مِمَّا نكرره دائماً، ونردِّده باستمرار: أن القضايا الكبار ليس لها إلا العلماء الكبار، بل نرى أنفسنا -ويرى غيرُنا منَّا- أننا كثيراً ما نجتنب الفُتيا في مسائل الطلاق والمواريث -لحساسيتها الشديدة في واقع الناس!-؛ فكيف بالإفتاء فيما يعدُّ من أكبر الذنوب بعد الشرك بالله: ألا وهو قتل أيِّ امرئٍ مسلم؟!

خامساً: إننا نعلم -كما يعلم القاصي والداني- أن ذاك الخلاف الجاري -والنِّزاعَ المستمر- بين الفلسطينيِّين -أنفسِهم -على أرض فلسطين الطهور-: فتنة كبرى، وتفرُّق عظيم: لا يستفيد منه إلا المحتلُّ المتربص.

وقد علم الجميع -من قبل ومن بعد- آثارَ هذا الواقع المرير؛ مِن ذلك=

=الاقتتال الشنيع، وذَيَّاك القتل المريع الذي أباح الدم الفلسطيني باسم الحرص على الشعب الفلسطيني (!)، والذي -وللأسف الشديد- لم يكن ينتظر -في أيِّ وقتٍ!- أيَّ فتوى تبيح له ارتكابَ مثلِ هذه الجرائم العِظام: من أيَّةِ جهةٍ، أو أيِّ شخصٍ؛ فضلاً عمّن ليس مفتياً ولا قاضياً -مثلي-!!

فلْيتقِ اللهَ -عز وجل- هؤلاء الإخوة المُتعادون -فيما بينهم- (!) في شعبهم وأمتهم، ولْيتقوا الله في أنفسهم ومن معهم، ولْيحرصوا -جميعاً- على المصلحة العظمى العامة، دون المصالح الضيِّقة الحزبية الصغيرة، ولا يكون ذلك -حقًّا- إلا بالتعاون والاعتصام والتكامل.

سادساً: يعلم الناس -جميعاً- عارفُهم وجاهلُهم-: أن فتوانا الشرعية الواضحة -عند اشتداد الفتن-: البعد عنها، والحذر منها، ولزوم البيوت -مجانبةً لها- كما قال النبي -صلى الله عليه وسلم-: «**العبادة في الهَرْجِ كهجرةٍ إليَّ**».

ولو أن هذه الفتوى -هكذا -من حيث الواقع- جعلت بعضَ المتسرعين ينقل عنَّا خلافَ المصلحة التي نريد!

سابعاً: كان الواجب على مَن نشر هذه الدعوى الكاذبة -أو تبنَّاها!-: أن يتثبت قبل الرمي والاتهام، ويستعلمَ قبل النشر والإلزام؛ وذلك مِن أدنى=

-أنفسِهم- بعضِهم مع بعض- قبلَ أن تُسال الدِّماءُ على أيدي هؤلاء الخُبثاء اليهود الملاعين؟!

للأسف... الكلُّ يعلمُ ذلك، والكلُّ يعرف كيف حصلت صورٌ من الانتقام بعيدةٌ عن حقائق الإسلام، وعن أخلاق الإسلام، بل بعيدةٌ عن أخلاق العرب- و(**العرب وعاء الإسلام**) -كما هو مُقَرَّرٌ عند العُلَماءِ -الأعلام-.

هذا كلُّه كان موجوداً -فوا أسَفَاه-؛ فالدَّمُ الفلسطيني

=حقوق أخوّة الإسلام!

ثامناً: كل مَن فهم منّي، أو نقل عنّي: خلافَ هذا التأصيل العلمي المنضبط -فيما نحن فيه -أو فيما يشبهه-: فهو كاذبٌ مفترٍ، أُقاضيه -يومَ الفصل والجزاء- لربِّ الأرض والسماء -تبارك اسمه- القائل: ﴿ وَقِفُوهُمْ إِنَّهُم مَّسْـُٔولُونَ ﴾».

... وقد كتبتُ مُلَخَّصَ هذا (البيان) في بعضِ الصُّحُفِ المحليَّة (الأُرْدُنِّيَّة)، في الوقتِ الذي أجْرَتْ معي فضائيَّة (الجزيرة) لقاءً فيه الاستنكارُ نفسُهُ -على وجه الاختصار-.

أُريق على أيدي الفلسطينيين -أنفسهم- قبل أن يُراق على أيدي الأعداء الكفار!

السبب: هو الانقسام والتفرُّق -وللأسف-!

ولو شئنا نقولُ: اقتسام الغنائم التي لا قيمة لها(!) بمقابل الدم، وبمقابل الأُخُوَّة، وبمقابل الدين والعقيدة!

لقد هانت علينا نفوسُنا، فهانت -أكثرَ وأكثرَ- في عيون أعدائنا.

هذا **الأمرُ الأوَّل.**

أمَّا الأمر الثاني: فهو الضعف العربي -جماعاتٍ وأفراداً-:

وهذا أمرٌ لا تردُّدَ فيه؛ فالكلُّ يعترف به، لكن كلٌّ يُوْجِدُ لنفسه عذراً! واللهُ -تبارك وتعالى- أعلمُ بأهل الأعذار -حقيقةً-.

وهذا شيخُنا الإمام الألباني -رحمهُ الله- له كلمةٌ في كتابه «**العقيدة الطحاوية: شرح وتعليق**»[1] -كتبها قبل أكثرَ من ثلاثين عاماً- يقول فيها:

(١) (ص٧١).

«اعلم أن الجهاد على قسمَيْن:

الأول: فرض عين، وهو صدُّ العدوِّ المهاجم لبعض بلاد المسلمين؛ كاليهود الذين احتلُّوا (فلسطين)، فالمسلمون -جميعاً- آثمون حتى يُخرجوهم منها...»[1].

... هذا يقوله شيخُنا قبل ثلاثين سنة؛ فَالاحتلالُ موجودٌ قبل أكثر من ثلاثين سنة، والأحكام -نفسُها- موجودة!

ومِن بداهة البيان أن نقول:

إن هذا التأثيمَ الذي ذكره شيخُنا -رحمه الله- مُتَعَلِّقٌ بالقادر المستطيع-، سواء أكان ذلك موصولاً بالدول، أم بالأفراد-.

أما مَن لا يستطيع؛ فمِن المقرَّر عند أهل العلم: **أن الأحكام الشرعية لا تثبت في حقِّ صاحبها إلا بالقدرة، و العلم:**

- العلم بها.

(١) ثُمَّ ذَكَرَ القِسمَ الثَّاني [الكِفائيَّ]، وردَّ -رحمهُ اللهُ- على مَن أنْكَرَهُ.

- والقدرة عليها[1].

فإذا زال هذانِ الشَّرْطانِ -أو أحدُهُما-؛ لم يقعِ الواجبُ الشرعيُّ على صاحبه؛ فربُّ العالمين يقول: ﴿لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾، كما قال -أيضاً- في آيةٍ أخرى: ﴿أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ﴾.

فاللهُ -سبحانه وتعالى- لطيفٌ بعباده، خبيرٌ بهم، عليمٌ بما يُصلحهم؛ كيف لا؟! وهو الخالقُ لهم -سبحانه وتعالى-.

فالضعفُ العربيُّ ضاربٌ بأطنابه في العرب -جميعاً-.

بل لنوسِّعِ الدائرةَ، ونقول: في المسلمين -أجمعين-؛ فَبَيْضَةُ المسلمين أقوى من بَيْضَةِ العرب، وعَدَدُ المسلمين أضعافُ أضعافِ عَدَدِ العرب؛ لكنْ -كما يقال-: الأقرب فالأقرب؛ فكيف إذا كان الضعفُ مستولياً على المسلمين -أجمعين-، وعلى العرب -كلهم-؟!

فالأمر أشدُّ وأنكى.

---

(١) انظُر «إعلام الموقِّعين» (٤/ ٢١٩)، و«المُوافَقَات» (٢/ ٢٨٨)، و«مجموع الفَتَاوَى» (١٠/ ٣٤٤)، و(١٩/ ١٢٤).

فهذا الضعفُ هو الذي قوَّى نَهَمَةَ أعدائنا فينا، وعرَّفهم حقيقتَنا، وأن دماءَنا رخيصةٌ -عندهم-.

انظروا كم فعل اليهودُ -ولا يزالون يفعلون!- من أجل إطْلاقِ الأسير اليهودي (الفرنسي) الذي هو مخطوفٌ -ولا يزال إلى الآن[1]!-؛ أرادوا أن يُبدلوه بالعشرات -بل بالمئات- مِن المسلمين؛ لأنهم (يعتقدون) أن دماء المسلمين -وللأسَفِ- رخيصة! وكأن دماءَهم -هم- زرقاءُ غاليةٌ!! ولذلك يُبدِّلُون الواحدَ بالعشرات، بل بالمئات!!

والصفقة التي أُجريت قبل فترة بمقابل جُثث متهالكة من اليهود كم بُدِّلَتْ بالمسلمين -أحياءً وأمواتاً-؟!

أيضاً؛ عشرات ومئات!

هذه نظرتُهم: ينظرون إلينا نظرةَ الدُّون، نظرةَ السُّفل، وهم

(١) وإلى وَقْتِ كتابةِ هذا التعليق في أوَّلِ شهرِ آذار/ ٢٠٠٩، مِن الشُّهُور الإفرنجيَّة!

-في ذلك- على جانب كبير من الواقع -وللأسف الشديد!!- بسبب تخلُّفنا عن ديننا.

فتخلُّفُنا عن ديننا هو سبب ذُلِّنا؛ فأُمَّةٌ بلا دين، ليس لها إلا الهوانُ والذلُّ باليقين -نسأل الله العافية-.

لم تعرف العربُ قيمةَ نفسها، ولم يكن لها وجودٌ في التاريخ إلا بعد الإسلام؛ أما قبل الإسلام: فلا تُعرف إلا بالكلام، والشعر، والحرب، والخلاف -فيما بينها-.

وما قصةُ (داحِس) و(الغبراء)[1] -وغيرها من القَصَص- عن العارف بالتاريخ ببعيدة؛ لِتُبَيِّنَ كيف كان العربُ أُمَّةً بلا هُوِيَّة حتى جاء الإسلام!

والآن: (**التاريخ نفسُه يتكرَّر**)؛ بسبب بُعدنا عن الإسلام،

---

(١) انظُر «البداية والنِّهاية» (٢/ ١٥٥)، و«سيرة ابن هشام» (٢/ ١٢٣)، و«الرَّوْض الأُنُف» (١/ ١٤١)، و«الأغاني» (٨/ ٢٤٧)، و(١٧/ ١٩١-١٩٧)، و«صُبح الأعشى» (١/ ٣٩٨).

وبسبب بُعدنا عن دين ربِّ العالمين، بسبب تخلُّفنا عن سنة سيد المرسلين -عليه أفضل الصلاة وأتمُّ التسليم-.

الأمر الثالث: التكالُب الدولي:

وهذا مُقَرَّرٌ في كتاب الله: ﴿وَلَن تَرْضَىٰ عَنكَ ٱلْيَهُودُ وَلَا ٱلنَّصَٰرَىٰ حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ﴾؛ فبالأمس القريبِ -وللأسف الشديد!- اتفق العربُ على أن لا يتفقوا!! قالوا: نعقد قِمَّة!

ثم أجّلوها[1]!!

قالوا: نعقدُ اجتماعَ وزراء الخارجية، ونرفع القرار إلى (مجلس الأمن!)!

فوقفت (بريطانيا) و(أمريكا) معترضةً لا تريد الرفع! وإنما تريد التلاعب! حتى يُؤَجَّلَ الأمرُ، فيَقْتُلَ اليهودُ من يستطيعون قتله -أكثرَ وأكثرَ- من المسلمين، ويهدموا -أكثرَ وأكثرَ- من تلكم البلاد...

(١) ولـمَّا أقامُوها -بعد لَأْيٍ!-: تفرَّقُوا، وما اجتمعوا!!

نسأل اللهَ لإخواننا المسلمين -في كُلِّ مكان- التوفيقَ والسَّدادَ.

الأمر الرابع: وَهْنُ الإعداد الإسلامي:

فاللهُ -عز وجل- قال: ﴿وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا ٱسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ ٱلْخَيْلِ﴾.

وقد سمعتُ شيخَنا الإمامَ الألبانيَّ - رحمه الله-كثيراً- يقول:

عندما خاطب اللهُ -عز وجل- بهذه الآية أقواماً؛ خاطبهم وهم على أهليَّة الاستعداد الإيمانيِّ.

فالإعدادُ الإيمانيُّ كأنما هو البُنْيَةُ التَّحْتِيَّةُ للإعداد الماديّ؛ فهل تستطيع أن تُعلِّم طفلاً حروفَ الهجاء -مثلاً- وهو في الأسبوع الأول! أو في السنة الأولى؟!

أم أن هذا هكذا -ولا بُدَّ- يكون في سن الاستعداد، وعندما يكون له ذِهْنِيَّةٌ قويةٌ قادرةٌ على التحمُّل والأداء، والأخذ والعطاء؟!

كذلك الحالُ -هنا- سواءً بسواء-؛ بمعنى: أن الإعدادَ -بكافّة أنواعه -وللأسف- عند المسلمين- غيرُ موجود، بل هو مفقود!

فلا إعدادَ مادي؛ فالأسلحة في (كلِّ!) البلاد العربية والإسلامية ليست من تصنيع المسلمين، وإنما هِي من تصنيع بلاد الغرب، ومن تصنيع غير المسلمين؛ فهل ننتظرُ أن نقاتِلَهم بأسلحتِهم؟!

وهل ننتظرُ أن نقاتلَهم بما يَمُدُّوننا (هم) -به- من أسلحة؟!

وكما أنَّهُ لا إعدادَ ماديّ -وللأسف-؛ فإنَّهُ لا إعدادَ إيمانيّ! فالإيمانُ -عندنا- أيضاً- في أضعف حالاته -إلا مَن رحمَ الله-.

وحتى الإعداد العلمي -كذلك-؛ فقد يعرفُ الإنسانُ (فقهَ الجهاد) -ونحن -بحمدِ الله- درَّسْنا (فقهَ الجهاد) في عشرات الدروس[1]؛ لكنَّ هذا الفقهَ إذا لم يمدّه الإيمانُ الصحيحُ، وإذا لم يستمدّ من الإعداد المادي الشرعي المنضبط بالضوابط الشرعية

---

(١) وذلك أثناء شَرْحِنا لكتاب «**الإقناع**» -للإمام ابن المُنذر- رَحِمَهُ اللهُ-.

وبالأصول المرعيّة: فهذا قد يكون أكثرَ ما يكون -كما يقال!- حبراً على ورق! وللأسف الشديد...

فَيجب أن نعترفَ بهذا الضعفِ -**والاعترافُ سيد الأدلة!**-، والحقيقة مُرَّة!!

إذن؛ حتى هذا الإعداد المطلوب إيمانيًّا مفقودٌ، فكيف بالإعداد المادي؟! فهو أكثرُ فقدانا، وأكثرُ وَهاءً!

الأمر الخامس: تناسي المُسلَّمات الشرعية -أو نسيانُها-:

ففي غَمرة ما يجري: نسينا أن الأمرَ يجب أن يكون موصولاً بالله؛ فالنبيُّ -عليه الصلاة والسلام- يقول: «**العبادة في الهَرْج كهجرة إليَّ**»[1]، والهَرْج: هو الفتنة والقتل.

كثيرٌ من الناس -في ظلِّ ما يجري- نَسَوْا قيمةَ العبادة، وقيمةَ الصلاة...

---

(١) رواهُ مسلم (٢٩٤٨) عن مَعْقِلِ بنِ يَسار.

نَسَوْا قيمةَ الدعاء لإخوانهم... كأنما ندعو في الصلوات المكتوبات في النازلة -فحسب-! لا ندعو في سجودنا! لا ندعو إذا قام أحدُنا الليلَ! لا يدعو وهو يُشْرِكُ إخوانَه مع نفسه!!

لا ندعو دعاءً صادقاً مخلصاً، وكأنَّنا جعلنا للدعاء مكانةً دون مكانته، ومنزلةً دون منزلته، مع أن الله -تبارك وتعالى- يقول: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِيٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾.

فاللهُ -عز وجل- أمر بالدعاء، وبيَّن أنه يستجيب لعباده: ﴿فَلْيَسْتَجِيبُوا۟ لِي وَلْيُؤْمِنُوا۟ بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ﴾؛ أي: يُصيبهم الرشدُ بهذا الدعاء، وتلكم الاستجابة.

وإنما يستجيب الربُّ -تبارك وتعالى- للعبد إذا استجاب العبدُ للربِّ، ولا يستجيب العبدُ للربِّ إلا بالالتزام بأمره، والطاعة لنبيِّه -صلى الله عليه وسلم-، والاهتداء بمنهجه، دون هذه التأوُّهات والتأفُّفات التي قد تُبْعِدُنا -أكثرَ وأكثرَ- عن حقائق ديننا، ويقينيَّاتِهِ العظيمة.

الأمر السادس: سيطرة المحتلّ:

فعندما نعرف أن الماء والكهرباء والوَقود والطعام والشراب -كُلَّه- بيد اليهود!! وأن المعابرَ الحُدوديَّةَ -إغلاقاً وفتحاً- بيد اليهود، وأن الأنفاق تُفتح وتُشقّ على أعيُن اليهود!

لذلك؛ فإن كثيراً مِن هذه الأنفاق لم يصمد أمامَ القصف اليهودي -وللأسف- أكثرَ من أربع دقائق! حتى إنهم قالوا: في (٢٢٠ ثانية!) ضربوا أربعين نفقاً!!

كانت هذه الأنفاقُ كشرايين الحياةِ؛ تمدّ (غَزَّة) بأشياءَ وأشياءَ يهرّبونها: من مأكل، أو مشرب -ونحو هذه الأمور-؛ ولَمْ تمتدَّ ضربتُهم لها (٢٢٠ ثانية) -بحسب تعبيرهم!-؛ فهدموها على مَن فيها، وعلى ما فيها، وهم يعلمون كُلَّ ذلك -من قبل-.

بل قد قرأتُ -في بعض تعليقاتهم المنشورة -في الصحف-: أنهم حذَّروا أصحابَ الأنفاق؛ حتّى يخرجوا منها قبل أن يهدموها على رؤوس أصحابها!!

وهذا من كمال (!) عُنْجُهِيَّتهم وعجرفتهم! فهم يقولون: نحن نحذِّركم قبل أن نقتلكم، اخرجوا حتى ندمِّرَ الأنفاقَ، لا نريـد أن ندمِّرَ الأشخاصَ!!

مع أنهم قد يكونون كاذبين في ذلك؛ فَهُمْ يكذبون حتـى عـلى أنفسهم! لكـن الحـرب ليـست عـسكرية -فقـط-، ولا سياسـيةً -فقط-، ولكن إعلاميةٌ -أيضاً-، وهذا -أيضاً- جزء منها.

أختِمُ بشيئَيْن:

الشيء الأول: إن هذه الحربَ كشفت -أكثـرَ وأكثـرَ- حقيقـةَ (حزب الله!) الشيعي الرافضي، والقائمِ عليه: ذلك الرجلُ الخبيث اللَّعوب (حسن نصر الله!) -كـما يـسمّونه!-، ويـسمّيه بعـضُهم: حسن نصر (اللاّت!)[1]، وهو إلى واقِعِهِ أقرب!!-.

وذلك من وجهَيْن:

---

(١) انظُر كتـابي «مُجمـل تـاريخ الـدعوة الـسلفية في الـدِّيارِ الأُرْدُنِّيَّـة» (ص٧٦).

الوجه الأول: أنه يدَّعي -دائماً- أنه العدو الأكبر لليهود!! والمعروف أن الجيش اللُّبناني والحكومة اللُّبنانية -وللأسَف- ليس لها سيطرةٌ على (حزب الله!)، فيستطيع -بدون أي مضايقة- أن يفتحَ جبهةً هي أصلاً مفتوحةٌ! بدلاً مِن أن يؤلّب على دولةِ (مصر) الجيشَ المصري، والشعبَ المصري؛ ليُقيمَ بذلك فتنة في (مصر) -قد لا يكونُ لها أولٌ ولا آخِرٌ!-!

هذا الذي تقولُه لمصر -أيُّها الكَذُوبُ-، وللشعب المصري، وللدولة المصرية، لماذا لا تُمارِسُهُ -فِعْلِيًّا- أنت وتقومُ بهِ!! وأنت رأسُ الهرمِ في (حزبك!)، وأنت تقول: عندي وعندي! في الوقتِ الذي تمدُّك -فيهِ- (إيران) بمَدَدِها؟!

فالقضيةُ -إذن- قضية لعب، قضية حقد متوارث على أهل السنة! فهو لا يريد اليهود! ولكن يريد أن تدخل (مصر) الحرب، ليجريَ ما يجري، وتحصُلَ فتنٌ في بلادِ السُّنَّةِ، وبين أهل السُّنَّة!

والكلُّ يعرف أن الضعف العربي -للأسف- ضاربٌ بأطنابه -شئنا أم أبينا-، فهذا الذي يستعرض عضلاتِه! يتقوَّى بالكلام،

وأحياناً بالاستهزاء -وبطريقة ماكرة-؛ يتكلم عن قوته وضعف غيره!

فنقولُ له: هيَّا -الآن-؛ الطريقُ مفتوحٌ، والكلُّ يعرف أن اليهود لا يستطيعون أن يفتحوا على أنفسهم جبهتَيْن، فلماذا لا يفعل؟!

بل لن يفعلَ؛ لأن ذلك ليس في صالح موازين القُوى الخاصَّة به؛ فهو يعلم أن هذا الأمر لن يفيد شيعيتَه، ولا رافضيته، ولا انعزالَه العقديَّ عن عموم المسلمين، وهم -ولله الحمد- من أهل السنة، حتى لو كان كثيرٌ منهم -أو قليلٌ- فُسَّاقاً، وقد قالَ من قال: **فُسَّاق أهل السنة خيرٌ من عُبَّاد أهل البدعة**[1].

هذه نقطة.

نقطةٌ ثانيةٌ متعلقةٌ بهذا الأمر:

وهي كلمةٌ صَدَرَتْ عن أحدِ رؤوس بعض (الأحزاب

---

(١) انظُر «طبقات الحنابلة» (١/ ١٨٤)، و«الإِبانة الصُّغْرَى» (٨٧)، و«مجموع الفتاوى» (٣٠/ ١٠٣).

الإسلامية!) الكبرى؛ يقول فيها: لماذا نخافُ من أن تنشر (إيـران) المذهبَ الـشيعيَّ؟!! فأنـا لا أُعـارض أن تنـشر (إيـران) مـذهبَها الشيعيَّ في بلاد السنة، وبين أهل السنة!

هذه الكلمةُ الباطلةُ يقولُها -وللأسف- رجلٌ في المنصب الأول في (حزب إسلامي!) -إن لم يكن الأكبرَ؛ فهو من أكبرها!!-.

هذا أولاً.

الأمر الثاني: يزعم أنه سُـنيّ، ويعـيش في بـلاد سُـنيّة؛ فكيـف يكون منه هذا القولُ الذي لا يقوله أصغرُ الناس سِـنًّا -وسُـنَّةً!-، وأقلُّهم علماً، وأنقصُهم معرفةً وإدراكاً!!

فالأمرُ خطيرٌ؛ فهل هذه -إذن- كلمةٌ سياسيةٌ؟! كـما سـمعتُ ذلك -والله -قبـل ثلاثـين سـنة- مـن واحـدٍ مـن رؤوس بعـض الأحزاب السياسية الإسلامية -بل هو (حِزب) هذا -نفسه-!!

قلـت لـه: كيـف تؤيِّـدون الـشيعة -ويومئـذ كانـت الثـورة (الشيعيَّةُ) الخمينية(!) في أول أمرها، وفي أَوْجِ ظهورها- وقدكانوا

يؤيِّدونها! وكنَّا نُعارض ذلك التأييدَ منذُ ثلاثين سنة! -وليس الآن (فقط) -لَـمَّا تراجع الشيخ القرضاوي (!)؛ فهو منذ أكثرَ مِن ثلاثين سنة يدعو إلى التقريب بين (السنة) و(الشيعة)!-.

منذ ثلاثين سنة وهو يقول -غفر الله له-: الخلاف بين (أهل السنة) و(الشيعة) خلافٌ يسيرٌ! خلاف فقهي! ليس خلافا عقائديًّا!! إلى ما قبل بضعةَ شهور!! حين قال: الخلاف كبير! ولا يُمكن التقارب!!

نحن قلنا هذا -جازمين به- قبل ثلاثين سنة- واللهُ يشهدُ-، ومشايخنا قالوا هذا -مِن قَبْلُ-، وصنَّفوا فيه، وكتبوه.

أقول: لما سَأَلْنا ذلك الرجلَ -وهو ذو مكانة كُبرى في حزبه، وكان من أكبر مَن يعتلون المنابر في ذلك الزمان-، قلنا له: لماذا تؤيِّدون هؤلاء وأنتم تعلمون أن عقيدتَهم شيعيَّةٌ رافضيَّةٌ؛ يدَّعون تحريفَ القرآن، ويكفِّرون الصحابة، ويطعنون في شرف أمهات المؤمنين، و....و....؟!

قال: نحن نؤيدهم سياسيًّا؛ لا عقائديًّا!!

قلت له: تقولون: نُؤَيِّدُ الشيعةَ سياسيًّا؛ لا دينيًّا؛ يا مسكين!

أليست هذه هي (**العَلْمانيةَ**) التي تحاربونها؟! فَصْلاً لِلدِّين عن السياسة!

فكيف تقعون فيما أنتم عنه تَنْهَوْن، ومنه تمنعون؟!

كُلُّ ذلك مِن قِلَّةِ الفقه، و«**مَن يُرِدِ الله به خيراً يُفَقِّهْهُ في الدِّينِ**»[1].

الأمر السابع: فَتْوَى (**اللجنة الدائمة للإفتاء**) -في بلاد الحَرَمَيْن الشَّرِيفَيْن-:

فقد أَصْدَرَتْ بياناً علميًّا حول (غَزَّة)، أحببتُ أن أُلَخِّصه -من باب اقتضاء المقام -أيضاً-؛ فأقولُ:

هذا البيان تضمَّن خمسةَ أركان:

(١) رواهُ البخاريُّ (٧١)، ومُسلم (١٠٣٧) عن مُعاويةَ.

أما الأول: فهو إظهار الأسى والحُزن على العدوان الجاري على إخواننـا في (غـزَّة)، وأن ذلـك مـن موجبـات الألم في النفـوس، فالمسلمون جسدٌ واحدٌ...

إلى آخر ما هو معلومٌ.

الثاني: لزوم التعاون مع الفلسطينيِّين، ونصرتهم، ومساعدتهم **-حسب الاستطاعة-**.

وكلمة: (**حسب الاستطاعة**) مـن نـصّ (البيـان)، فكـما قلنـا -ونكرّر-: ﴿لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾.

فللأسـف -الآن- أُمَّتُــنا أُمَّةٌ ذليلةٌ؛ فكيف يُطالَب الذليلُ بأن يصبح قويًّا -هكذا- بين عشيَّةٍ وضحاها؟!

هنالك مقوِّمَات، هنالـك أسـسٌ وأصـول، هنالـك واجبـاتٌ وأركانٌ وشروطٌ لقيام أيِّ عمل، حتى لو كان عملاً دنيويًّا؛ فمثلاً: إنسان يريد أن يفتح دكَّاناً -ولو صغيراً-؛ لا يفتحُها في ليلة لا

قمر فيها! يفتحها -ولا بد- بعد أن يشتريَ، وأن يُهَيِّئَ، وأن يضبطَ الأمور، وأن يرى الأسعار و....و.... إلى آخره.

هذا بالنسبة لدُكَّان صغير في حيٍّ صغير! فكيف الأمر إذا كـان أعظمَ من ذلك بكثير؟!

فمَن يقول غيرَ هـذا فلْيَـتكَلَّمْ بـالعلم والبيِّنـة؛ لا بـالعواطف والحماسات...

نعلمُ أن هناك مـن يـستطيع أن يـتكلَّم بـالعواطف ويُـسكِتَنا! ولكنْ بالدليل والحُجَّة لن يسكتَنا؛ لأنه لا دليل ولا حُجَّة إلاّ أمثالُ هذه الأمور الواضحة البيِّنة.

أمَّا العاطفيُّون الذين يُزايدون على الناس والشعوب؛ فلا شأن لنا بهم!!

وأنتم تـرون -الآن- المظـاهرات والمـسيرات عمَّـت الـسهل والجبـل، ولا يقودهـا المـسلمون فقـط، بـل يقودهـا المـسلمون،

والشيوعيُّون، والنصارى، والثوريُّون، والبعثيُّون!! كلٌّ فليقل ما يريد!!

ولكنْ؛ هذا في المزايدة في الكلام والقول! والمباريات العاطفية التي يستطيعها كلُّ أحد!

لكنَّ الكلامَ العلمي المُبيَّن بالدليل، والمُعطَّر بالحُجَّة والبرهان هو ساحة البحث...

وقلَّ في وقت الفتنة من يصفو له ذهنه لينظرَ الأمرَ ببحثٍ علميّ؛ فالأذهان تطيش، والعقول تضعف، والنفوس تمرض، ولا مُنْجِي -من هذا البلاءِ- إلا الله -سبحانه وتعالى-.

الثالث -مِن بيانِ (اللجنة الدائمة)-: نُصرة قضية (غزَّة) في المحافل والمؤتمرات الدولية والشعبية؛ وهذا لبيان ما لهم من حقوق.

الرابع: بذل النصيحة لهم، ودلالتهم على ما فيه خيرُهم، وما فيه اجتماعُ كلمتهم، وما فيه نزعُ فُرقتهم -للأسف-.

فالفُرقة موجودةٌ، ضاربةٌ بأطنابها -وللأسف-، والتفريقُ قائمٌ، حتى قيل -والله أعلم-: إنَّ ما حصل من قتل -بين المسلمين أنفسهم!- في فلسطين- كان يحصل فيه تمثيلٌ بالجثث، مِن المُسلمين بعضِهم في بعض!!

وللأسف.. مهما كان الخلافُ لا يَعْدُو أن يكون خلافاً على كرسي ومنصِب؛ لأن الكلَّ يعلم أنه لا يستطيع أحدٌ في (غزَّة) - إذا حكم!- أن يحكم بالإسلام الحقّ! لا بد أن يحكم ضمن سياسة معينة - طبعاً كواقع!!- أنا أتكلَّم عن الواقع! لا أتكلَّم عن الأمر المفروض شرعاً! لا أتكلَّم عن الأمر الواجبِ وجودُه حُكماً! لا أتكلَّم عن الأمر الذي ينبغي أن يكون عليه الحالُ عقيدةً، ولكن أتكلَّم عن الواقع:

فَلا أحدَ يرضى -لا اليهودُ، ولا السُّلْطَةُ، ولا الجيرانُ! -وللأسف!- أن يكون هناك حكمٌ بالشرع في هذا الموقع، وفي هذه البلدة-!

وهذا الأمر يجب أن يكون بدهيًّا-.

فإذا كان الأمرُ كذلك؛ فالخلافُ -والحالةُ هذه- خِلافٌ على الكراسيِّ، وخِلافٌ على مظاهر، وليس الخلافُ على حقائق!!

أُكَرِّرُ وأقولُ:

الحقيقةُ مُرَّةٌ، لكن؛ يجبُ أن نعرِفَها، ونعترفَ بها، ويجب أن نقفَ عندها، ويجب أن نتأملَها، ونستوعبَها، ويجب أن لا نتجاوزَها حتى نفهمَها؛ وإلا فسنقعُ في نفس الحُفْرَة التي حُفِرَتْ لنا، أو حفرناها بأيدينا! والنبيُّ -صلى الله عليه وآله وسلم- يقول: «**لا يُلدغ مؤمن من جُحرٍ واحد مَرَّتَيْن**»(١)، ونحن لُدغنا من الجُحْرِ نفسِه عشرات المرات، وإلى الآن لم نتعلَّم! ولا أظنُّنا سنتعلَّم (!) إلاّ أنْ يشاءَ الله: «**حتى ترجعوا إلى دينكم**»؛ بنص حديث النبي -صلى الله عليه وسلم-: «**حتى ترجعوا إلى دينكم**».

وعبد الله بن مسعود -رضيَ اللهُ عنهُ- يقول -وكثيراً ما نكرّر

(١) رواهُ البخاريُّ (٥٧٨٢)، ومسلم (٢٩٩٨) عن أبي هريرة.

كلامَه-: «**السعيد مَن وُعِظَ بغيره**»[1]؛ ونحن -من شدة تعاستنا!- وللأسف- لم نتعلَّم حتى من أنفسنا! فضلاً عن أن نتعلَّمَ من غيرنا!

أقولُ هذا واقعاً أليماً، ولا يجوز أن يقال -هُنا-كما في الحديث الصحيح-: «**من قال: هلك الناس؛ فهو أهلكهم**»[2]؛ فنحن نتكلّم عن واقعٍ ملموس، نتكلَّم عن واقعٍ -كما يُقال- لا يُجدي فيه الرِّثاء!

يقال: هذا حالٌ يُرثى له!! وهذا حالٌ لا يُجدي فيه الرِّثاء!!!

نسألُ اللهَ العافيةَ.

الأمرُ خطيرٌ، وليس بالسهل ولا باليسير.

يجب أن نعلَم هذه الحقائقَ حتى يستطيعَ كلٌّ منّا أن يفهم، وأن

(١) رواهُ مسلم (٢٦٤٥).

(٢) رواهُ مسلم (٢٦٢٣) عن أبي هُريرة.

وتُضْبَطُ كلمةُ «**أهلكهم**» -بفتح الكاف، وبضمِّها-.

يُدرك؛ لعل الله -سبحانه وتعالى- فيما نستقبل من الزمان- يجعلُ لنا من أمرنا مخرجاً...

وما ذلك على الله بعزيز.

الخامس: مِن بيان (اللجنة الدائمة)-: دعوة عقلاء العالَم والمجتمع الدولي للنظر في هذه الكارثة؛ ومحاولة الخروج منها، و..و..

إلى أن قالوا: إدراك حقوق الشعب الفلسطيني.

والشيخ ابن باز -رحمه الله- له كلماتٌ منذ أكثرَ من نصف قرن، منقولةٌ عنه في أهمِّيَّة حقوق الشعب الفلسطيني، وضبط ذلك بالشرع الحكيم(١).

وسمعتم كلمةَ شيخنا الألبانيّ -رحمه الله- في هذا الأمر -قبل قليل- لما قرأناها من كتابه-.

هذا واقعٌ ﴿مَا لَهُۥ مِن دَافِعٖ﴾، وهذه أمورٌ ﴿لَيۡسَ لَهَا مِن دُونِ ٱللَّهِ

---

(١) انظُر «مجموع فتاويه» (١/ ٢٧٧-٣٢٣) -رحمهُ اللهُ-.

كَاشِفَةٌ﴾، يجب أن نعيَها، ويجب أن نفهمَها، وإن كان الألمُ يعتصرُ قلوبَنا، وإن كانت الكلماتُ - والله - لا أدري كيف تخرج مرتبةً منضبطةً! أم متفرقةً مُشَتَّتَةً!!

لكن؛ لابد من أن نقول؛ فالرسولُ -عليه الصلاة والسلام- يقول: «**إن لصاحب الحق مقالاً**»[1].

وأخيراً؛ أذكر أن ثَمَّةَ مؤلفاتٍ خاصةً كُتبت في شأْنِ (غزَّة)، وفي تاريخها، آخِر ما طبع منها كتابٌ بعنوان: «إتحاف الأعزة بِتاريخ (غزَّة)» -في أربعة مجلَّدات- للشيخ عثمان الطباع.

وهناك كتابٌ آخر للشيخ أحمد بسيسو اسمه: «كشف النقاب عن بعض مَن بنواحي (غزَّة) مِن الأعراب».

وهنالك كتاب «تاريخ غزَّة» لعارف العارف!

وردَّ عليه حلمي أبو شعبان في كتاب سماه: «تاريخ (غزَّة): نقد

(١) رواهُ البخاريُّ (٢١٢٣)، ومسلم (١٦٠١) عن أبي هريرةَ.

وتحليل»، ردَّ فيه على (عارف العارف) بعضَ ما أخطأ فيه في مسائلَ تاريخية متعلقة بغزَّة -وما أشبه ذلك-.

وهنالك بيتَا شعر أُحِبُّ أن أختم بهما -أيضاً-، قالهما بعضُ أهل الشعر -في (غزَّة)-؛ قال:

نـارٌ عـلى الأعـداء حاشـا تُخْمَـدُ
مِـن ألـفِ ألـفٍ حَجْرُهـا يتوقَّـدُ
ما جرَّب الغـازي صـواعقَ حربِهـا
إلا تمنَّـى لـو يغـورُ ويَـشْرُدُ

... هذا أملٌ، ولن نقطع الأمَلَ، والرسولُ -صلى الله عليه وسلم- بيّن أنه: «**لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق...**»[1].

(١) رواهُ البخاريُّ (٦٨٨١) عن المُغيرة بن شُعْبَة.

وفي الباب عن عددٍ مِن الصحابةِ في «صحيح مسلم» -وغيره-.

وانظُر «السلسلة الصحيحة» (٢٧٠)، و(١٩٥٦)، و(١٩٥٧)، و(١٩٥٨)، و(١٩٥٩)، و(١٩٦٠)، و(١٩٦١)، و(١٩٦٢).

وأقلُّ ما يُذكر في (الطائفة) أنها شخص واحد!

ولئن كان الواقعُ أليماً ومُرًّا وشديداً، لكـنَّ الأمـلَ بـالله كبـير، والعطاءَ من الله عظيم.

لكن:

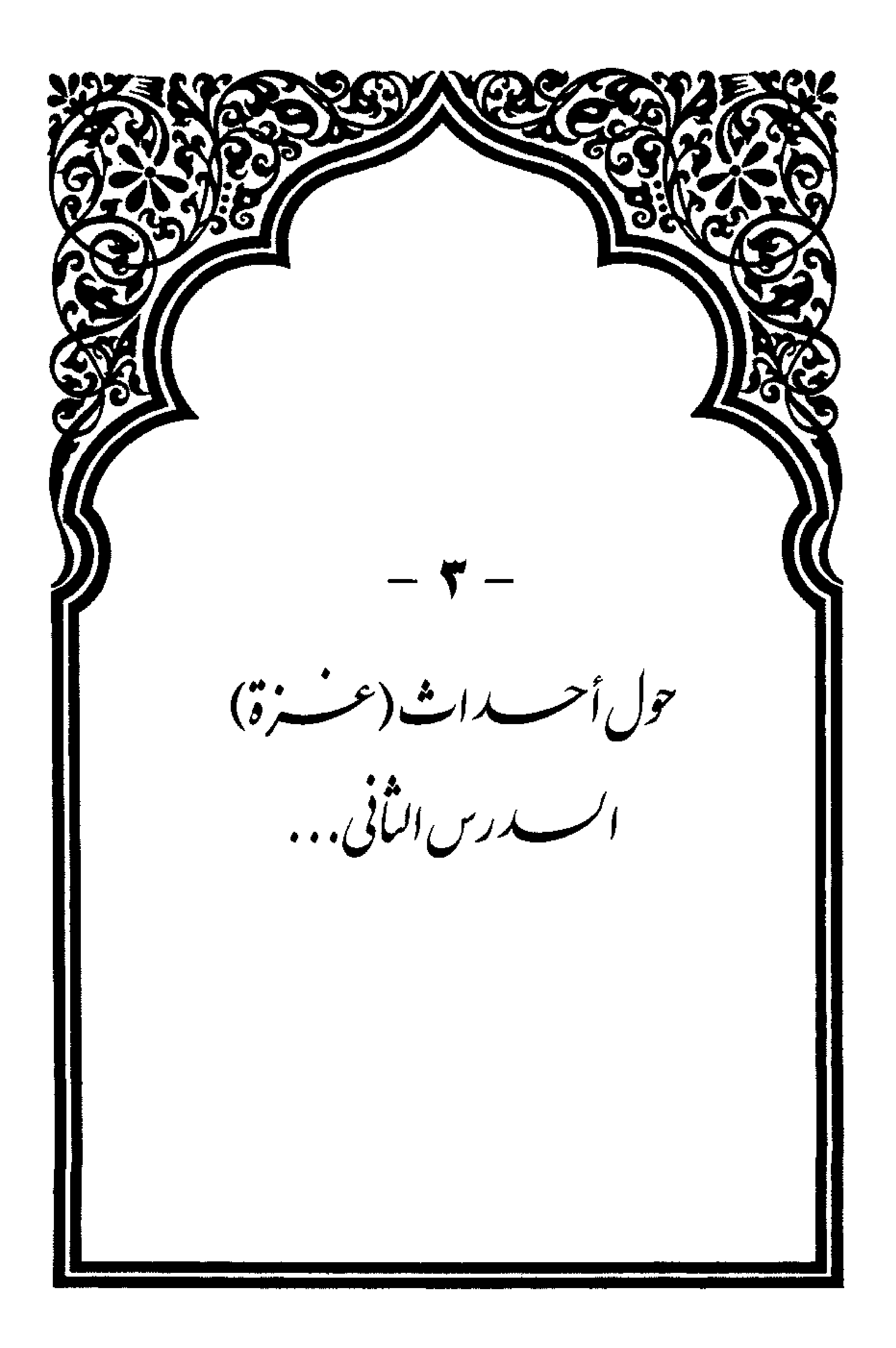
هل نحن على قَدْر هذه المسئولية؟!

هل نحن على أهليَّةِ النصر؟!

هل نحن على مقدار العِزَّة؟!

.. وصلى الله، وسلم، وبـارك عـلى سـيدنا محمـد، وعـلى آلـه وصحبه أجمعين.

❊ ❊ ❊ ❊ ❊



- ٣ -

حول أحداث (غزة)

الدرس الثاني...

حول (أحداث غزَّة) / الدرس الثاني... وشرح كلمة لسماحة أُستاذنا الشيخ عبد العزيز بن باز -رحمه الله- في بيانِ أسباب النصر-

١٢/ محرَّم/ ١٤٣٠

إن الحمدَ لله، نحمدُه ونستعينُه ونستغفرُه، ونعوذ بالله من شرورِ أنفسِنا وسيئاتِ أعمالنا، من يهده الله فلا مضلَّ له، ومن يُضلل فلا هاديَ له.

وأشهد ألا إله إلا الله -وحده لا شريك له-.

وأشهد أن محمداً عبده ورسوله.

أما بعد:

فإن أصدقَ الحديث كلامُ الله، وخيرَ الهدي هديُ محمد -صلى الله عليه وسلم-، وشرَّ الأمور محدثاتها، وكلَّ محدثة بدعة، وكلَّ بدعة ضلالة، وكلَّ ضلالة في النار.

وبعد:

فهذه هي الأيامُ الحالكةُ لا تزال ضاربةً بجذورها في إخوان لنا، قريبين منّا، غيرَ بعيدين عنَّا.

وهذا هو الأسبوعُ الثالثُ يبتدئ؛ ولا تزال آلةُ الحرب الصهيونيةُ الحاقدةُ الخبيثةُ تتناول أطفالَ المسلمين، ونساءَ المسلمين، وشيوخَ المسلمين، ومَرافقَ المسلمين؛ في ذلك البلد الضعيف الذي ليس له قوةٌ إلا بربِّه، وليس له حياةٌ إلا بالاستجابة إلى خالقه -سبحانه وتعالى-.

ولـمّا كانت الظروفُ - ولا بد - مؤثِّرةً في كلِّ مسلم، ولمّا كان العلم حيًّا، ومؤثِّراً -أيضاً- في قلوب أهله؛ رأيتُ أن أقرأ لإخواني في هذه الأُمسية الطيبة -إنْ شاءَ اللهُ- كلمةً قالها سماحةُ أُستاذِنا العلّامةِ الشيخ عبد العزيز بن باز -رحمهُ الله- قبل نحو ثلاثين عاماً، وهي محاضرةٌ ألقاها في (الجامعة الإسلامية) -في المدينة النبوية-، عنوانُها: (**التقوى سبب كل خير**).

أقتطفُ منها بعضاً من الكلمات السِّمان التي لها أثرُها في

النفوس، ولها فعلُها في العقول والقلوب؛ حتى تكونَ مُسَدِّدَةً لقلوبنا وعقولنا وألسنتنا.

فنحن نرى في خِضَمِّ هذه المحنة التي ضربت جذورَها في الأُمَّة -والأُمَّةُ لا تزالُ عاجزةً عن حُسن التعامل معها- نرى مِن أقرب الناس إلينا مَن اشتطَّ به لسانُه! فصار يتكلّم بكلام ليس منهجيًّا، وليس علميًّا! بل قد يعترضُ على أمور لا ينبغي لِمِثْلِهِ الاعتراضُ عليها؛ وإنما جُلُّ ما فيه -إن كان صاحبَ حِرصٍ على الحقِّ!- أن يستفسرَ، وأن يسألَ، وأن يعطيَ القوسَ باريَها[1] -كما قيل قديماً-.

أمَّا أن يأتيَ الصغيرُ، وأن يأتيَ الحَدَثُ، وأن يأتيَ الناشئُ، وأن يأتيَ المبتدئُ، وأن يأتيَ المتحمِّسُ العاطفيُّ ليتكلَّم بأمور، هي فوقه وأعلى منه!! فهذا ليس من المنهجيّة العلمية في شيء؛ وإن ظن نفسه على شيء من هذه المنهجية العلمية!!

(١) «المُستقصى في أمثال العرب» (١٠٤٨)، و«صُبح الأعشى» (٢/ ٤٨٥)، و«فصل المقال في شرح كتاب الأمثال» (٢٩٩).

فالتقوى سببٌ لكل خير، وبابٌ من أعظم أبواب النصر، و(مَن تعجّل الشيء قبل أوانه عُوقِبَ بحرمانه)[1] -كما يقول أهلُ العلم-.

هذا مِن قواعد الفقه الأصيلة المُقرّرة المُحرّرة عند أئمة العلم - رحمهم الله أجمعين-.

فنبتدئُ بكلمةِ سماحة الشيخ ابن باز -رحمه الله-، ونربطُها بشيء من الواقع الذي نحن فيه، مع أنها تبدو وكأنّها كُتِبَتْ لهذا الواقع -نفسِه- واللهُ المُستعانُ-:

*** قال سماحةُ أُستاذِنا الشيخ عبد العزيز بن باز -رحمه الله-تعالى-** بعد مقدّمة فيها بيانٌ لأهميّة التقوى-:

«...والإنسان محتاجٌ إلى العلم والبصيرة والهدى، ولا سبيلَ إلى ذلك إلا بالتقوى، كما قال -تعالى-: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن تَتَّقُواْ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّكُمْ فُرْقَانًا﴾».

---

(١) انظُر «المنثور في القواعد» (٣/ ٢٠٥) للزركشيِّ، و«مُغني المُحتاج» (٤/ ٥٣٨) للشِّربينيِّ.

أقول: بعضُ الناس يربط التقوى بالعلم ربطَ السبب بالمسبَّب! وهذا خطأٌ، فيفهمون على ضوء ذلك قولَ الله -عز وجل-: ﴿وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَيُعَلِّمُكُمُ ٱللَّهُ﴾: بأنَّ التقوى -وحدَها- هي سببُ العلم، وهذا خطأٌ تكلَّمنا عليه مراراً، وبيّنا وهاءَه تكراراً.

ولكنْ -من باب التوكيد- أقول:

التقوى وعاءٌ، والعلمُ هو ما يُصَبُّ في هذا الوعاء، فإذا كان العلم بغير تقوى؛ كان وَبالاً على صاحبه!

وإذا وُجِدت التقوى بغير علم؛ فهي التقوى المنقوصة؛ لأن (التقوى) مِن: (الاتقاء)؛ فكيف تَتَّقِي شيئاً وأنت لا تعلم حدودَه، ولا تعرف أحكامَه، ولا تفهم أصولَه وفروعَه؟!

إذا اتقيتَ اللهَ يجبُ أن تعرفَ ما عند الله من حلال -باتباعه-، ومن حرام -باجتنابه-؛ فلذلك قال -تعالى-: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن تَتَّقُواْ ٱللَّهَ يَجۡعَل لَّكُمۡ فُرۡقَانٗا﴾؛ فبالتقوى تُحصِّل هذا الفرقانَ الذي تميِّزُ به بين الحقِّ والباطلِ، وبين الهدى والضلال، وبين الصواب والخطأ.

ولكنْ؛ كما قلتُ: التقوى -هنا- هي الوعاء الحامي، والجدار الفاصل بين الفجور -من جهة-، والاستقامة -من جهة أخرى-، بين الخلل في الإيمان -من طرف-، وبين الاستقامة على أمر الله -من طرف آخر-.

* قال الشيخ - رحمه الله -:

«والفُرقانُ -كما قال أهلُ العلم- هو النورُ الذي يُفصَل به بين الحق والباطل، وبين الهدى والضلال».

أقول: نعم؛ ولكنْ؛ لا تقوى إلا بالعلم؛ فقد توجد تقوى عند بعض الناس بمعنى: (العبادة)، أو بمعنى: (كثرة الذكر)! فنقول: هذا باب حسن؛ لكنه ليس هو الأمرَ الواجبَ -كُلَّه-؛ الأمرُ الواجبُ أن تعرفَ حدودَ الله وأحكامَه، وأن تفهمَ الحلالَ والحرامَ، وأن تعرفَ ما يجبُ عليك من واجب الوقت، أو من الواجب الموسّع[1] الذي يُمليه عليك شرعُك الحكيم.

(١) انظُر «إجابة السائل..» (ص٣٨) -للصَّنْعانِيِّ-، و«الإبهاج» (١/ ٩٣) -للسُّبْكِيِّ-.

* قال الشيخُ -رحمهُ اللهُ-:

«ولا يخفى على من تأمّل أن (الاجتهادَ في طلب العلم) و(التفقّهَ في الدين) من جُملة التقوى».

أقول: هذا ما أشرنا إليه، وهذا ما يؤصِّله ويقرِّره سماحةُ أُستاذنا الشيخ - رحمه الله -.

وهذا منه تأكيدٌ وتثبيتٌ -زيادةً-.

* قال الشيخُ -رحمهُ اللهُ-:

«وبذلك يحصلُ النورُ والهدى، وهما الفُرقان».

أقول: ﴿إِن تَتَّقُواْ ٱللَّهَ يَجۡعَل لَّكُمۡ فُرۡقَانٗا﴾ بماذا يحصل الفُرقان؟!

بالنور والهدى اللذَيْن هما: الاجتهاد في طلب العلم، والتفقّه في دين الله - عز وجل -.

* قال الشيخُ -رحمهُ اللهُ-:

«فالتقوى كلمةٌ جامعةٌ؛ حقيقتُها: الإيمانُ، والعملُ

الصالحُ، كما قال الله -جل وعلا-: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَهُمۡ جَنَّٰتُ ٱلنَّعِيمِ﴾».

أقول: فهل تتحصّل لك التقوى بغير إيمان؟!

لا يُمكن.

كيف يتحصّل لك الإيمانُ بغير عمل صالح - على التفصيل المعلوم عند أهل العلم-؟!

فالعملُ الصالحُ؛ هو أعظمُ واجبٍ في الإيمان، وبغير العمل الصالح لا يكون المؤمن مؤمناً حقاً:

﴿قَالَتِ ٱلۡأَعۡرَابُ ءَامَنَّاۖ قُل لَّمۡ تُؤۡمِنُواْ وَلَٰكِن قُولُوٓاْ أَسۡلَمۡنَا وَلَمَّا يَدۡخُلِ ٱلۡإِيمَٰنُ فِي قُلُوبِكُمۡ﴾.

فالإيمانُ إذا دخل في القلوب تُرجِم إلى عمل، وتُرجِم إلى قول، وتُرجِم إلى صدق في التعامل، وتُرجِم إلى الشكر لله -كما يريد الله -عز وجل-...

والشكرُ لله: يكون **بالقول**، ويكون **بالعمل**، ويكون **بالاعتقاد**(١).

فالتقوى حقيقتُها: التزامٌ بأمر الله -كما قال بعضُ أئمة التابعين-: التقوى: عملٌ بطاعة الله، على نور من الله، ابتغاءَ مرضاة الله، واجتنابٌ لمعصية الله، على نور من الله، ابتغاءَ مرضاة الله(٢).

فهي: علمٌ وعملٌ، فعلٌ وكفٌّ، التزامٌ وتَرْكٌ.

هكذا تَتَحَصَّلُ التقوى، ويحصلُ عليها أصحابُها من أهل الإيمان.

---

(١) وهذا هو التعريفُ الصحيحُ للإيمان عند السَّلَف.

فانظُر «مجموع الفتاوى» (١١/ ٤٧٠) - لشيخ الإسلام ابن تيميَّة، وكتابي «التعريف والتنبئة..» (ص٥١).

(٢) كما قالَهُ طَلْقُ بنُ حبيبٍ.

رواهُ ابنُ أبي شيبةَ في «الإيمان» (٩٩)، وفي «المُصَنَّف» (٣٠٣٥٦)، وابنُ المُبارك في «الزُّهد» (١٣٤٣).

ومِن الطريف (!) أنَّ (طَلْقَ بنَ حبيبٍ) -هذا- رُمِيَ بالإرجاء!!

* قال -الشيخُ -رحمهُ اللهُ-:

«وكما قال الله -عز وجل-: ﴿مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةً ۖ وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾».

أقول: هذه هي التقوى، وهذا جزاءُ أهل التقوى: الحياةُ الطيبةُ، والنجاةُ عند الله -عز وجل- يوم القيامة.

وليست التقوى مجرّدَ دعوى!

فكثيرٌ من الناس -مِن سُفهائهم، ومِن رَعاعهم، ومن هَمَجِهم- تأمره بطاعة، أو تنهاه عن منكر، تأمره بسنة، أو تردعه عن بدعة؛ فيقول لك: الإيمان في القلب!

هذه مقولةُ أهل العجز، وهذه قالةُ المُضلِّين الضالِّين، الذين -لا أقول: يحسَبون أنهم يُحسنون صنعاً-؛ بل أقول: يعلمون أنهم يفعلون شرًّا!

وإلاّ؛ فإن الله -عز وجل- عندما أنزل الكتبَ وأرسل الرسلَ،

وكان في ذلك أمرُهُ ونهيُه؛ لم يكن ذلك -فقط- من أجل الثقافة! ومن أجل عموم المعرفة! وإنما كان ذلك -كلُّه- ابتلاءً لعباده؛ ﴿لِّيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَنۢ بَيِّنَةٍ وَيَحْيَىٰ مَنْ حَىَّ عَنۢ بَيِّنَةٍ﴾.

* قال الشيخُ -رحمهُ اللهُ-:

«فالتقوى حقيقتُها: إيمانٌ صادقٌ بالله ورسوله، وبما أخبرت به الرسلُ عمَّا كان وعمَّا يكون، ثم عملٌ صالحٌ».

أقول: إذَنْ: إيمانٌ وعملٌ صالحٌ.

وعليها مَدارُ الصلاحِ، والفلاحِ، والنجاح.

وبسببِ هذا -كُلِّه- يدخُلُ أهلُ الإيمانِ جنَّةَ الرّحمن.

* قال الشيخ -رحمهُ اللهُ-:

«وهو مقتضى (الإيمان) وموجبُه؛ ومِن ذلك: التعلُّم، والتفقّه في الدين، وهما من التقوى -كما تقدم-؛

ولذلك رتّب الله على التقوى الفرقانَ: ﴿... إِن تَتَّقُواْ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّكُمْ فُرْقَانًا﴾.

لأن من شُعَبها التعلُّمَ، والتفقُّهَ في الدين، والتبصُّرَ بما جاء به المصطفى -عليه أفضل الصلاة وأتم التسليم-».

أقول: فلا تكونُ التَّقْوَى حَقَّةً إلاّ بالتَّفَقُّهِ في الدِّينِ، ولا تفقُّهَ في الدِّين إلاّ بالعِلْمِ بالكتابِ والسُّنَّةِ، والتعلُّم لأحكامِهما، والالتزامِ بهديِهما.

* **قال الشيخُ** -رحمهُ اللهُ- وهُنا يبدأ الكلامُ فيما نحن فيه من نوازلَ ومن فتن-:

«**فالإنسانُ قد تضيقُ أمامَه الدروبُ، وتُسَدُّ في وجهه الأبوابُ في بعض حاجاته؛ فالتقوى هي المفتاحُ لهذه المضائق، وهي سببُ التيسير لها؛ كما قال -عز وجل-:** ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مَخْرَجًا﴾».

أقول: فالضيقُ الذي يعيشه المسلمون -اليومَ-، والذي تعيشه

الأُمَّة -اليومَ-؛ ليس له من فرج إلا بالتقوى، ليس له من يُسر ولا تيسير -ولا دفعَ لهذا العُسر وذاك التعسير- إلا بالتقوى.

* قال الشيخُ -رحمهُ اللهُ- وتأمَّلوا! -:

«وقد جرّب سَلَفُنَا الصالح؛ وهم الصحابةُ -رضي الله عنهم- وأتباعُهُم بإحسان-، كما جَرَّب قبلَهم رسلُ الله -عليهم الصلاة والسلام- الذين بعثهم الله لهداية البشر، وحصَلوا بالتقوى على كل خير، وفتحوا بها بابَ السعادة، وانتصروا بها على الأعداء، وفتحوا بها القلوبَ، وَهَدَوْا بها البشرية إلى الصراط المستقيم».

أقول: عندما قال الله: ﴿ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ﴾ ليس ثَمَّةَ مُعارَضةٌ -كما قد يُتَوَهَّم- بينها وبين قول الله -عز وجل-: ﴿فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ مَا ٱسْتَطَعْتُمْ﴾؛ فالمقصودُ بـ(حق التقوى) -هنا- ليس كمالَها؛ فهذا الكمالُ لا يحصل عليه إلا أهلُ العصمة؛ وإنما المقصودُ -هنا- بـ(حق التقوى)؛ أن تكونَ هذه التقوى موافِقةً للحق، ليس فيها ما يُتوهَّم أنه تقوى! أو يُظن أنه تقوى! وليس من التقوى!!

لذلك؛ قال في الآيةِ الأخرى -من حيث التطبيقُ لهذه التقوى-: ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ﴾[1].

واللهُ -عز وجل- يعلم حقيقةَ خَلْقِه، وما يُصلِحُهُم، وما يَصْلُحُ لهُم-: ﴿أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ﴾؛ فكيف يأمرُهم بما لا يستطيعون؟!

فـ(حقّ التقوى) هو أن تكون هي على الحق، لا أن تكون تقوى متوهّمة، أو موهومة، أو مظنونة!!

لذلك؛ لما قام الرسولُ الكريمُ -صلى الله عليه وسلم- وكذا الصحابةُ -رضي الله عنهم- ثم -مِن بعدهم- التابعون لهم،

---

(١) قال الشيخُ السَّعْدِيُّ في «تفسيرِه» (ص١٤١) -في تفسير آية ﴿..حَقَّ تُقَاتِهِ﴾-:

«وهذه الآيةُ بيانٌ لما يستحقُّهُ -تعالى- مِن التَّقْوَى.

وأمَّا ما يجبُ على العبدِ منها؛ فكما قال -تعالى-: ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ﴾..».

وأتباعُهم من السلَف الصالح-؛ لما قاموا بالتقوى حقَّ التقوى -فيما يستطيعون منها-: نَصَرَهُمُ اللهُ -تبارك وتعالى-.

مِن أجلِ ذا؛ قال بعضُ الكُتَّاب المُعاصرين -عندما قام المسلمون بالتقوى، وفتحوا البلادَ، وهَدَوُا العبادَ-: وصلت دعوةُ الإسلام من (فَرْغانة) إلى (غانا) - (فَرْغانة) في الاتحاد السوفييتي السابق، و(غانا) في أقصى أفريقيا-.

أي: أن الله -عز وجل- هيَّأ لهم أسبابَ الخير والنصر كلَّها؛ لتشملَ الدينَ والدُّنْيا -جميعاً-.

* **قال الشيخُ -رحمهُ اللهُ-:**

«وإنما حصلت لهم القيادةُ للأمم، والذِّكْرُ الجميل، والفتوحاتُ المتتابعةُ بسبب تقواهم لله، وقيامِهم بأمره، وانتصارِهم لدينه، وجمعِ كلمتهم على توحيدِهِ وطاعته».

أقول: هذا هو النظرُ الحقُّ الذي يجب أن يكون.

أكثرُنا اليوم - وقد أُبالغ فأقول: كلنا! وأخشى مِن هذا! -أكثرُنا -اليوم- ينظر إلى معايير النصر كما ينظر إليها الأعداء! كما ينظر إليها مَن نحاربهم ويحاربوننا!!

فإذا كانت نظرتُنا إلى عدوِّنا كنظرة عدوِّنا لنا! وإذا كانت معاييرُ النصر والتقدُّم هي نفسَ معايير النصر والتقدّم عند من لا يرقُبُون في المؤمنين إلاًّ ولا ذمة!! فهذه هي -واللهِ- بدايةُ النهاية!!

بمعنى: أنَّ معاييرَ النصر عند أهل الإسلام مرتبطةٌ بمقدار نصرِ المسلمين لربِّهم، فأما إذا تخلَّف نصرُ المسلمين لربِّهم؛ فسيتخلّف - ولا بد- نصرُ المولى -سبحانه وتعالى- للمسلمين.

فالأعداءُ لَـمَّا قصدوا هذه الآليةَ في الفهم والتصوُّر، وعاشوا حياةً ماديةً قائمةً على الشهوات، وقائمةً على الملذّات، وقائمةً على الأموال والماديّات، لا يعرفون النصرَ إلا بالسلاح! ولا يَعرِفُون من أسبابه إلا الآلةَ الحربيةَ!

نعم؛ هي مطلوبةٌ في ديننا؛ لكنْ: في الدرجة الثانية، وليست في

الدرجة الأولى، إنما المطلوبُ في الدرجة الأولى -مِنَّا- هـو الإيـمانُ بالله -تعالى-، والعملُ الصالحُ.

وعن أبي الدرداء -كما في «صحيح الإمام البخـاري»[1]-: إنـما

(١) (٣/ ١٠٣٣).

وبوَّبَ عليه -رحمه الله- بقولِه-: «باب عمل صالح قبل القتال».

قُلتُ:

وروى الأثـرَ ابـنُ المبـاركِ في «الجهـاد» (رقـم:٥)، بلفـظ: «[يـا أيهـا الناس!]، عملٌ صالحٌ قبل الغزو؛ فإنَّكُم إنَّما تُقاتِلُونَ بأعمالِكُم».

وما بـين المعقـوفين عنـد أبي داود في «الزُّهْـد» (٢٥٢)، والـدِّينَورِيِّ في «المُجالسة» (١١٣٥).

قلتُ:

وذكرهُ الكَلاعيُّ في «الاكتفاء..» (٣/ ٢١) مِن كـلامِ أبي بكـر الـصدِّيق في وصيَّتِه لخالد بن الوليد -رضيَ اللهُ عنهُما-؛ قال: «.. وبهذا نرجـو النـصرَ على أعدائِكُم».

ونَسَبَهُ الطُّرطُوشيُّ في «سراج المُلوك» (ص٥٠٠) إلى عُمر بـن الخطـاب -رضيَ اللهُ عنهُ-! =

تُقاتِلُونَ بأعمالِكم.

ليس فقط - أقولُ: ليس فقط؛ حتى لا يُفهمَ عنِّي غيرُ ما أقول!

- ليس فقط بالسلاح والبندقية-و.. و.. إلى آخره من الماديّات-؛ فهذه في الدرجة الثانية -كما قدَّمْتُ-؛ وأمَّا الدرجةُ الأولى فهي صلةُ العبادِ بربِّ العباد: ﴿وَلَيَنصُرَنَّ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥٓ﴾[1]، ﴿وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ

= وقال الإمامُ ابنُ القيِّمُ في «إغاثة اللّهفان» (٢/ ١٨٢) -في تفسيرِ قولِ الله -تعالى-: ﴿فَلَا تَهِنُوا۟ وَتَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱلسَّلْمِ وَأَنتُمُ ٱلْأَعْلَوْنَ وَٱللَّهُ مَعَكُمْ وَلَن يَتِرَكُمْ أَعْمَٰلَكُمْ﴾ [محمد:٣٥]-:

«فهذا الضَّمانُ إنَّما هو بإيمانِهم وأعمالِهم -التي هي جُنْدٌ مِن جُنود الله؛ يحفظُهم بها، ولا يُفرِدُها عنهم، ويقطعُها منهم؛ كما يَتِرُ الكافرين والمُنافقين أعمالَهم؛ إذ كانت لغيرِه، ولَمْ تكُنْ مُوافقةً لأمرِهِ».

(١) قال الإمامُ القُرْطُبِيُّ (٦٧١هـ) -رحمهُ اللهُ- في «تفسيرِه» (٣/ ٢٥٦)- بعد ذِكْرِهِ هذه الآيةَ -وما في معناها مِن الآيات-:

«فهذه أسبابُ النصرِ وشُروطُهُ! وهي معدومةٌ غيرُ موجودةٍ فينا؛ فإنَّا لله، وإنَّا إليهِ راجعُون على ما أصابَنا، وحَلَّ بِنا! =

رَبِّكَ إِلَّا هُوَ﴾.

فَلْنَنْظُرْ: وَلْنَعْتَبِرْ، وَلْنَتَأَمَّلْ:

في (يوم الأحزاب): كيف كانت الكِفّة، وكيف صارت؟!

في (يوم بدر): كيف كانت المعايير، وكيف آلت؟!

وفي المقابل:

في (يوم أُحُد): كيف كانت النتائج، وكيف تَبَدَّلَتْ؟!

وفي (يوم حُنين): كيف كانت الحقائق، وكيف انعكست؟!

هذه كلُّها دروسٌ للأُمَّة[1]...

= بل لم يَبْقَ مِن الإسلام إلا ذِكْرُهُ، ولا مِن الدِّين إلاّ رسمُهُ؛ لظُهور الفساد، ولكثرة الطغيان، وقلَّة الرشاد؛ حتى استوْلَى العدوُّ شرقاً وغرباً، بَرًّا وبحراً، وعمَّت الفِتَنُ، وعظُمت المِحَنُ، ولا عاصِمَ إلاَّ مَن رَحِم».

قلتُ: هذا في زمانِه! فكيف في زمانِنا؟!

(١) انظُر «زاد المعاد» (٣/ ٢١١ و٤٧٧)؛ لمعرفة بعضٍ مِن هذه الدُّروس.

ومع أنها دروسٌ للأُمَّة، والأُمَّةُ تتلوها، وتتدارسُها، وتتذكَّرُها، وتتذاكرُها -آناءَ الليل وأطرافَ النهار-؛ فلا تزال الأُمَّةُ -وللأسف- واقعةً في الحُفرة ذاتها! وملدوغةً من الثعبان نفسه! غيرَ متّعظة بأنفسها، فضلاً عن أن تتعظَ بغيرها! و﴿لَيْسَ لَهَا مِن دُونِ ٱللَّهِ كَاشِفَةٌ﴾...

* **قال الشيخ -رحمهُ اللهُ-:**

«كما أن الناس في أشدِّ الحاجة لتكفيرِ السيئات، وحطِّ الخطايا، وغفرانِ الذنوب.

وسبيلُ هذا: هو التقوى -كما قال-عز وجل-: ﴿إِن تَتَّقُواْ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّكُمْ فُرْقَانًا وَيُكَفِّرْ عَنكُمْ سَيِّـَٔاتِكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ﴾-».

أقول: إذن؛ التقوى سببُ هذا الفُرقانِ الذي فيه خيرُ الدنيا وخيرُ الآخرة، وقد قال الله -عز وجل-: ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يُكَفِّرْ عَنْهُ سَيِّـَٔاتِهِۦ وَيُعْظِمْ لَهُۥٓ أَجْرًا﴾.

بالأمس القريبِ ينقلُ لي أحدُ إخواننا مِن طلبة العلم كلمةً عن

ذاكَ المهرِّج الخبيثِ المسمى (حسن نصر الله)!! ماذا يقول؟!

يقول: الدعاءُ سلاحُ العاجزين[1]!!

الله أكبر!

أينَ هذا ممَّا وَرَدَ عن الإمام الجليلِ الفُضَيل بن عِيَاض -بالسند الصحيح- مِن قولِهِ: «**الدعاءُ سلاحُ المؤمنِ**»[2]؟!

ورُوي ذلك عن الرسول -صلى الله عليه وسلم- لكنْ؛ بسند لا يصحُّ[3].

والفُضَيلُ بنُ عِيَاض من أئمَّة العلم والزهد والعبادة - رحمه الله -تعالى-.

---

(١) انظُر ما تقدَّمَ (ص٦٢).

(٢) رواهُ السِّلَفِيُّ في «الطُّيورِيَّات» (٢٩٢)، وأبو نُعَيْم في «حِلْيَةِ الأولياء» (٨/ ٩٢).

(٣) خرَّجَهُ -بتفصيل- شيخُنا الإمامُ الألبانيُّ -رحمهُ الله- في «سلسلة الأحاديث الضعيفة» (١٧٩).

ما فائدةُ هـذه الأوامـر الإلهيـة المتواليـة بالـدعاء، والتـضرُّع، والإقبـال، والإخْبـات لله -عـز وجـل- إذا كـان الـدعاءُ سـلاحَ العاجزين؟!

إذا كان الدعاءُ سلاحُ العاجزين -وأنت عندك موازينُ (قويَّةٌ) غيرُ هذا السلاح الذي هو -كما تقولُ وتكـذبُ، وتـدّعي وتفـتري على الله، وعلى عباد الله!- سلاحُ العاجِزين؛ فَأَرِنا ماذا عندك!؟!

ولكنّه -حقيقةً- لا يريد إلا التثويرَ، ولا يريـد إلا الفـتنَ، ولا يريد إلا الغِشَّ للمسلمين؛ لأنـه يعـرف -وللأسـف- أن أكثـرَ المسلمين عـاطفيُّون، وأن أكثـرَ المسلمين متحمّـسون، وأن أكثـرَ المسلمين: كلمةٌ تـدفعُهم، وكلمـةٌ تُـرجِعُهم -وللأسـف-؛ فهـم يفرحون بهذا الكلامِ الـذي يُثَـوِّرُ، وهـذه العواطـفِ التـي تجعـل الحرارةَ تجري في العروق، بدلاً من الدماء!

وهذا يستطيعُهُ كلُّ أحدٍ!!

(فيدل كاسترو) -رئيس (كوبا) الـسابق!!- كـان يمكُـثُ في

الخُطبة أربعَ ساعات! والناس تجلسُ مستمتعةً!! وهو شيوعيٌّ!!!

ووالـلـهِ؛ لو زاد الدرسُ العلميُّ -اليومَ- المبنيُّ على: (قال الله، وقال رسوله) عن خمس و أربعين دقيقة -أو سـاعة-؛ لَبَـدَأَ طلبـةُ العلم يتململون!! -إلاّ مَـن رحِـم اللـــهُ-؛ لكـن: لَـــمَّا كـان ذاك وذيَّاك يتكلَّمون بالعواطف، ويُثـيرون الحماسـاتِ التـي لـيس لهـا ضابطٌ و لا رابطٌ؛ فهذا يُعجِب، ويُفرِح!

وإلا؛ فمِن ثمارهم تعرفـونهم، كـما ورد في بعـض أخبـار بنـي إسرائيل: عن عيسى ابن مـريم -عليـه الـصلاة والـسلام-؛ قـال محذِّراً حوارِيِّيهِ: سيكون بعدي أنبياءُ كَذَبَةٌ، قالوا: كيـف نعـرفُهم؟ قال: مِن ثمارهم تعرفونَهم[1].

فـانظروا إلى هـذا الـذي يـسبُّ أصـحابَ رسـول الله -عليـه الصلاة والسلام-، ولم يقف أمرُهُ عند هذا الحـدِّ -كـسائر طائفتـه

---

(١) كما في «إنجيل متَّى» (٧:١٧)!!

وانظُر «نظم الدُّرر» (١/ ٤٨٥) للبِقاعِيِّ.

الشيعيَّة الشنيعة-، بل يُكفِّرون الصحابةَ إلا أربعةَ نَفَرٍ -وفي رواية: تسعةَ نفرٍ!!- كما في كتاب «الكافي» -للكُلِيني-، وهو الكتاب (المقدّس) -عندهم!- كما أنَّ «صحيح البخاري» (مقدَّر) -عندنا- وأعظَم، وإنما التشبيهُ هنا من حيث (تقديرُنا) لكتابنا، و(تقديسُهم) لكتابهم[1]!

في كتاب «الكافي في الأصول» -للكُلِيني- يقول: عن أبي جعفر -عليه السلام- وكلٌّ واحدٍ من أئمّتهم يقولون فيه: عليه السلام! -عن أبي جعفرٍ -عليه السلام-، قال: ارتدَّ الذين كانوا مع نبيِّنا محمد خلا أربعة نفر!! وفي رواية: تسعة نفر!

الصحابةُ الذين مات النبيُّ -عليه الصلاة والسلام- وهو

(١) انظُر كتابي «مُجمل تاريخ الدعوة السلفية في الدِّيار الأردُنِّيَّة» (ص٧٠)، ورسالتي «عاشوراء بين هدايةِ السُّنَّة الغَرَّاء، وضلالةِ البِدعةِ الشَّنْعاء» (ص٤٥).

راضٍ عنهم- أكثرُ من مئةِ ألف[1]، هم عند هؤلاء أشباه اليهود: كفار!! إلا أربعةَ نفرٍ، أو تسعةَ نفرٍ!

فهل نتخيّلُ نصراً يأتينا من طريق هؤلاء الضالِّين المضلّين؟! الذين يتلاعبون بعقول عامّة المسلمين ورَعاعهم وهمجهم بمجرّد القول والكلمة!! بمجرّد التكتيك السياسي، والتلاعب اللفظي؟!؟!

... وكنتُ قد نَظَمْتُ شِعراً -أيَّامَ (حرب لُبنان) - بتاريخ: ١١/ رجب/ ١٤٢٧-، قلتُ فيه:

فلا لنْ نَرْتَوِي نَصراً وشِرْكٌ في أراضينا
ذُرَى التوحيدِ جالبةٌ لنصرِ الله يأتينا
فيرحمُنا ويُسعِدُنا ويُفرِحُنا ويَحْمِينا
ظلامُ الشِّرْكِ يخدعُنا إلى الأرذالِ يُودينا
إلى الأنذالِ يدفعُنا وفي الأوحالِ يرمِينا

---

(١) انظُر «الإصابة» (١/ ١٤) -للحافظ ابن حَجَر-.

ودونَ الحـــقِّ أعنـــاقٌ تُـــدَكُّ بهـــا أعادينـــا
لتـــأتي ســـاعةُ النَّـــصْرِ تُفَـــكُّ بهـــا أحاجينـــا
تُرَجِّعُنـــا لأنـــدَلُسٍ ولـــنْ ننْـــسَى فِلَـــسْطِينا
تأمَّـــلْ يـــا أخـــي قَـــوْلِي ولا تَعْجَـــلْ فتُـــضْنِينا
وخَـــتْمُ الـــشِّعْرِ تبريـــكٌ بـــه تَـــسْمُو أمانينـــا
صـــلاةُ نبيِّنـــا الهـــادي رســـولِ الله تُنجينـــا
وفي الجَنَّـــاتِ تجمعُنـــا ألا قُولُوهَـــا: آمينـــا

نَعَم... واللـهِ؛ لن ننتظر نصراً مِن (هؤلاءِ!)؛ ولئِنْ جاءنا ما يُشبه النصرَ مِمَّا (قد) يغترُّ به بعضٌ منّا؛ فليس هو إلا فتنةً وتمحيصاً لنا -من جهة- كما قال -تعالى-: ﴿الٓمٓ . أَحَسِبَ ٱلنَّاسُ أَن يُتۡرَكُوٓاْ أَن يَقُولُوٓاْ ءَامَنَّا وَهُمۡ لَا يُفۡتَنُونَ . وَلَقَدۡ فَتَنَّا ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡۖ فَلَيَعۡلَمَنَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ صَدَقُواْ وَلَيَعۡلَمَنَّ ٱلۡكَٰذِبِينَ﴾، كما أنه استدراجٌ لهم -من جهة أخرى- كما قال -سُبحانه-: ﴿سَنَسۡتَدۡرِجُهُم مِّنۡ حَيۡثُ لَا يَعۡلَمُونَ﴾.

هـذا الـذي ينبغـي أن نفهمَـه في هـذا البـاب -علـى وجـه الحقّ والصواب-.

* قال الشيخُ -رحمهُ اللهُ-:

«ومِن أعظمِ الأجر: الفوزُ بالجنة، والنجاةُ من النار.

وهكذا المسلمون في أشدّ الحاجةِ للنصرِ على أعدائهم، والسلامةِ من مكائد الأعداء.

ولا سبيلَ إلى هذا إلا بالتقوى -كما قال-عز وجل-: ﴿وَإِن تَصْبِرُوا۟ وَتَتَّقُوا۟ لَا يَضُرُّكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْـًٔا ۗ إِنَّ ٱللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ﴾».

أقول: فهما شَرطانِ: الصبر، والتقوى؛ لأن التقوى إذا لم يسبقها صبرٌ عليها: فقد تتفلّت أطرافُها، ولا يَثْبُتُ صاحبُها، ولا يرتفعُ لواؤُها...

* قال الشيخُ -رحمهُ اللهُ-:

«فالمسلمون إذا صبروا في طاعة الله، وفي جهاد أعدائه، واتَّقَوْا ربهم في ذلك؛ بإعداد العُدَّة المستطاعة...».

أقول: ماذا قدّم؟

قدّم طاعةَ الله، وعندما قال الله -عز وجل- مخاطِباً الفئةَ المؤمنةَ -ممّن تنزَّل القرآنُ بين ظهرانَيْهِم على قلب رسول الله-، قال: ﴿وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا ٱسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ﴾....

... كان الخطابُ لمن؟

للصحابة.

ثُمَّ؛ هل كان الخِطابُ -للصحابة- وهم في فترة الاستضعاف؟ أم في فترة التمكين؟!

كان في فترة التمكين، وقد امتُحنوا بِالهجرة، وتمحّصت قلوبُهم، وثَبَتَ إيمانُهم بالتقوى، وقاموا بحقِّ الله: من العبادة، والعلم النافع، والعمل الصالح.

فلم يكن الأمرُ لهم بالإعداد وهم لا يزالون في الضحضاح والرَّقراق! وإنما كان الأمرُ لهم بالإعداد وهم على سويَّة عَلِيَّةٍ من الإيمان، والعلم النافع، والعمل الصالح.

* لذلك؛ قال الشيخُ - رحمه الله -:

«**فالمسلمون إذا صبروا في طاعة الله** - هذا أولُ شرطٍ وأعظمُ سببٍ- **وفي جهاد أعدائه، واتَّقَوْا ربهم في ذلك بإعداد العُدَّة المستطاعة- البدنية والمالية والزراعية والسلاحية- وغير ذلك-: نُصِروا على عدوّهم؛ لأن هذا -كُلَّهُ- من تقوى الله.**

ومِن أهمِّ ذلك: إعدادُ العُدَّة المستطاعة من جميع الوجوه: كالتدريب البدني، والمِهَني، والتدريب على أنواع الأسلحة.

ومِن ذلك: إعدادُ المال، وتشجيعُ الزراعة والصناعة -وغير ذلك مما يُستعان به على الجهاد، والاستغناء عمَّا لدى الأعداء-».

أقول: لا يُمكن لنا -مهما حلُمْنا، ومهما تمنّينا، ومهما تأنّينا- أن ننتصرَ على عَدُوِّنا إلا بسلاح ليس عند أعدائنا، وليس من سلاح

-اليـوم- عنـدنا ولـيس عنـد أعـدائنا إلا التقـوى، وهـو سـلاحٌ -وللأسفِ- نحن مُفَرِّطون فيه! ولم نستعملْه إلى هـذه الـساعة حـقَّ استعمالِه كما يريد الله، وكما طبّقه رسولُ الله -صلى الله عليه وسلم-!!

* قال الشيخُ -رحمهُ اللهُ-:

«وكلٌّ ذلك داخلٌ في قوله -سبحانه-: ﴿وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا اسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ﴾**، ولا يتمُّ ذلك إلا بالصبرِ.**

والصبرُ مِن أعظم شُعَب التقوى، وعَطْفُهُ عليه في قوله -سبحانه-: ﴿وَإِن تَصْبِرُواْ وَتَتَّقُواْ﴾ **مِن عطف العامِّ على الخاصِّ».**

أقول: يعني: أن الصبر من شُعَب التقوى؛ فكُـلُّ صـبرٍ تقـوى، وليست كلُّ تقوى صبرًا.

والنُّصوص -آياتٍ وأحاديثَ- في فضلِ الصبر، ومكانته كثيرةٌ جدًّا؛ منها -عُمومَ دلالةٍ- قولُهُ -تعالى-: ﴿وَلَئِن صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِّلصَّابِرِينَ﴾..

* قال الشيخُ -رحمهُ اللهُ-:

«فلا بُدَّ من صبرٍ في جهاد الأعداء، ولا بُدَّ من صبرٍ في رِباط الثُّغور، ولا بُدَّ من صبرٍ في إعداد المُستطاع من الذات والبدن القويِّ المدرَّب.

كما أنه لا بُدَّ من الصبر في إعداد الأسلحة المستطاعة التي تُماثِل سلاحَ العدو -أو تفوقُه- حسب الإمكان-[1].

ومع هذا الصبر: فلا بُدَّ من تقوى الله في أداء فرائضِه، وترك محارمه، والوقوفِ عند حُدوده، والانكسارِ بين يديه، والإيمانِ بأنه الناصر، وأنَّ النصرَ

(١) وشرطُ (المُماثلةِ) -في القُوَّةِ- بحسَبِ الإمكانِ- مُهِمٌّ جدًّا؛ يغيبُ عن كثيرٍ مِن المتحمِّسِين الثائرين، والعاطفيِّين الهائجين!!

فأين هُم -هداهُمُ اللهُ- مِن توجيهات أئمَّةِ المُسلمين، وفُقهاءِ المِلَّةِ والدِّين؟!

من عنده، لا بكثرة الجنود، ولا بكثرة العُدَد».

أقول -وهنا الشاهدُ-: مهما كان عندنا من عَدَدٍ وعُدَد، ومهما كان عندنا من أسلحة، وعَتاد- و.. و.. إلى آخره-؛ إذا لم يكن هنالك الصبرُ، ولم تكن هنالك التقوى، ولم يكن هنالك العلمُ النافعُ والعملُ الصَّالحُ؛ فهذا كله لا يَصْلُح ولا يُصْلِح.

وللأسف الشديد، بَلَغَني أن بعضَ ما يُقام في هذه الأيام من مسيرات ومظاهرات، يحدثُ فيها من الفساد ما لا يعلمه إلا الله:

وأبرَزُ ذلك -وأظهرُهُ-: أنَّها تجمعُ أهلَ الشر و(أهلَ الخير!) -سواء بسواء!-؛ الكلُّ فيها سواءٌ!-وللأسف-؛ تجد فيها الصالحَ وغيرَ الصالح، بل تجد المسلمَ والشيوعيَّ! بل في بعضِها أمسك الشيوعيُّ والقسِّيس والشيخ والمُثَقَّف -وغير هؤلاء!- أيديَهم بأيدي بعضٍ!!

وليس هذا هو الخطرَ الأكبرَ -وإن كان خطراً-!

بل الخَطَرُ الأكبرُ -فيما نحن نُمارسه ونُعايشه- ما يجري في

بعض هذه المظـاهرات مـن تكسيرٍ وتحطيمٍ للأشـياء التـي هـي مُقَدَّراتٌ إسلاميَّةٌ مَحْضَةٌ؛ حتَّى إنَّ بعضَهم قال: كُسِّرت سيارات، وحُطِّمَتْ محلات، و.. و... إلخ.

والأسبوعُ الماضي[1]: كـان هنـاك شيءٌ مـن هـذه المهرجانـات والمظاهرات في (استاد عـمان=الأردن)، وأُمِّنـت حـافلاتٌ (مِـن الدولة!) حتى يتيسَّر للنَّاس الذهاب والإياب!

وفي آخِر (المهرجـان): كُسِّرت الكـراسيُّ والمقاعـدُ! وبـدأت الهُتافات السيئة (جِـدًّا جِـدًّا) -التـي تزيـد الـبلاء بـلاءً!-، وبـدأ السبُّ! وبدأ الطعنُ واللعنُ!!

إذا كان هؤلاء الذين يقومون بالمظاهراتِ على هذه الدرجة من الأخلاق؛ فماذا ننتظر؟!

فإن قيل: هؤلاء مدسوسون!

(١) مِن تاريخ هذه الكلمةِ.

فنقول: لماذا نجعلُ للمدسوسين مكاناً يندسّون فيه بيننا؛ فيُفسدون لُحمتَنا وقوتَنا وكلمتَنا!؟!

ثُمَّ؛ هل المدسوسون هم الأكثرُ؟!

وللأسف... أمثالُ هذه المظاهراتِ أشبهُ ما تكون بتنفيسٍ آنيٍّ، وقتيٍّ -لا غَيْرَ-!!!

القرضاويُّ يقول: اجعلوا يوم الجمعة يومَ الغضب!

غَضِبْنَا؛ ثم ماذا؟!

هل غَضَبُنا يهوّن ما يقع على إخواننا؟!

وهل تجمُّعُنا بهذه الصورة ينفعُهُم؟!

واللهِ؛ إن كُلَّ هذا غفلةٌ عن أسرار الدعاء...

واللهِ؛ إن هذا غفلةٌ عن أسرار الإخلاص في التقوى والتضرُّع إلى رب العالمين -سبحانه وتعالى-.

* قال الشيخُ -رحمهُ اللهُ-:

«وأن النصرَ من عنده -تعالى- لا بكثرة الجنود، ولا بكثرة العُدّة، ولا بغير ذلك من أنواع الأسباب، وإنما النصرُ مِن عنده -سبحانه-.

وإنما جَعَلَ الأسبابَ لتطمين القلوب، وتبشيرها بأسباب النصر، كما قال -جل وعلا-: ﴿وَمَا جَعَلَهُ ٱللَّهُ إِلَّا بُشْرَىٰ لَكُمْ وَلِتَطْمَئِنَّ قُلُوبُكُم﴾ ماذا قال بعدها -مباشرة-؟! ﴿وَمَا ٱلنَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِندِ ٱللَّهِ﴾»...

أقول: هذه الأشياء -كلُّها- التي نُناوِرُ بها، ونتعاظمُ بأسبابِها، ونُعِدُّها-: هي -فقط- من باب البشائر والتطمينات، أما حقيقةُ الأمرِ؛ فهي: أن النصر من عند الله: ﴿وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنكُمْ شَيْـًٔا وَضَاقَتْ عَلَيْكُمُ ٱلْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ ثُمَّ وَلَّيْتُم مُّدْبِرِينَ﴾.

إذن؛ الكثرةُ -وحدها- ليست هي سببَ النصر؛ سببُ النصر: ما عند الله، ما يعلمُه الله منّا مِن صبر، ومِن تقوى، ومِن علم نافع، وَمِن عمل صالح، ومِن استجابة لأمر الله، ومِن استقامة على سنة رسول الله -صلى الله عليه وسلم-.

* **قال الشيخُ -رحمهُ اللهُ-:**

«**وقال -سبحانه-:** ﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوٓا إِن تَنصُرُوا اللَّهَ يَنصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ﴾».

أقول: قد ننالُ النصرَ... لكنْ، هل نَيْلُ النصر -فقط- هو المطلوبُ؟!

أم لا بُدَّ لِنَيْلِ النصر مِن أنْ نكونَ على ما يُرضي الله، حتَّى يُثبّتَنا الله عليه؟!

* **قال الشيخُ -رحمهُ اللهُ-:**

«**وقال الله -عز وجل-:** ﴿وَلَيَنصُرَنَّ اللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥٓ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِىٌّ عَزِيزٌ﴾».

أقول: ماذا قال في الآية الثانية -مباشرةً-؟

«﴿ٱلَّذِينَ إِن مَّكَّنَّٰهُمْ فِي ٱلْأَرْضِ أَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُا۟ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَمَرُوا۟ بِٱلْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا۟ عَنِ ٱلْمُنكَرِ﴾».

أقول: النصرُ أساسٌ متينٌ، وبُنْيَةٌ تحتيَّةٌ -إن جاز التعبيرُ- للقيام بالعمل الصالح -مِن قبلُ ومِن بعدُ-؛ فلا يمكن أن ينصرَك اللهُ بغير علم نافع، وعمل صالح، وتقوى صادقةٍ لله[1].

فإذا نصرك الله: اِجعلْ هذا أوسعَ دائرةً، وأشملَ اتِّساعاً ونشراً ودعوةً؛ لأن النبي -صلى الله عليه وسلم- قال: «**لا يؤمن أحدُكم حتى يحبَّ لأخيه ما يحبُّ لنفسه**»[2].

وقال -تعالى-: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ﴾.

---

(١) انظُر ما سَبَقَ في (المقدِّمة) (ص٦-١٠).

(٢) رواهُ البخاريُّ (١٣)، ومسلم (٤٥) عن أنس.

الدعوةُ هي طريقةُ الأنبياء والرسل -عليهم السلام-؛ فهي -إذن- على طريقتهم، وهَدْيِهم، وسَمْتِهِم؛ لا على أهوائنا! ولا على مواريثنا! ولا على تجارِبِنا! ولا على تقاليدنا! ولا على عاداتِنا!!

* **قال الشيخُ -رحمهُ اللهُ-:**

«***وهذه الأعمالُ*** -يعني: إقامة الصلاة، وإيتاء الزكاة، والأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر- ***من شُعَب التقوى.***

وبهذا يُعلم معنى قولِه -تعالى-: ﴿وَإِن تَصْبِرُواْ وَتَتَّقُواْ لَا يَضُرُّكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْئًا﴾».

أقول: واللهِ؛ لو أننا -نحن المسلمين- تكاتَفْنا مع إخوانِنا المُستضعفين المقهورين المظلومين، الذين هم -الآن- في حالة الضَّنْك، وفي حالة الضعف، وفي حالة الشدة- من تقتيل وتفجير وتدمير، ومن منع لمبادئ وأساسيات الحياة- أيِّ حياة!- ليست -فقط- حياةَ البشرُ، بل الحياةُ التي يعيشها البشرُ وغيرُ البشرِ، وللأسف الشديد -أثناء الحصار-!!

ألم يأكل إخواننا في (غزَّة) العلفَ الحيواني، ويجعلوه خبزاً؟!

الذي لا يعرف فلْيعرف...

أقول: لو تكاتَفْنَا مَعَهُم -فقط!- بدُعائِنا، بإخلاصِنا، بـصِدْقِنا مَعَ ربِّنا، باتِّباعِنا سُنَّةَ نبيِّنا ﷺ، بدعوتِنا إلى الله على بـصيرة: لكـان الحالُ غيرَ الحال، والواقعُ غيرَ الواقِع[1]!!!

ولكنْ...

لا حول ولا قوة إلا بالله، وإنا لله وإنا إليه راجعون.

لمثل هذا يموتُ القلـبُ مـن كَمَـدٍ

إن كـان في القلـب إسـلامٌ وإيـمانُ

---

(١) وقد قال رسولُ الله ﷺ:

«**إنَّما ينصرُ اللهُ هذه الأُمَّةَ بضعيفِها: بدعوتِهم، وصلاتِهم، وإخلاصِهم**».

رواهُ النَّـسائيُّ (٣١٧٨)، والبيهقـيُّ في «الكُـبرى» (٦١٨٢)، وتمَّـام (٧٠٠)، وأبو نُعَيْم في «الحِلْيَة» (٥/ ٢٦) عن سعد بن أبي وقَّاص.

قال شيخُنا الإمامُ الألبانيُّ -رحمهُ اللهُ- في «التوسُّل» (ص١٠٥):

(سندُهُ صحيح، وأصلُه في «صحيح البخاري» [٢٨٩٦]).

* قال الشيخُ -رحمهُ اللهُ-:

«**فإذا أراد المسلمون النصرَ والعِزّةَ والنجاةَ -في الدنيا والآخرة-، وتفريجَ الكروب، وتيسيرَ الأمور، وغُفرانَ الذنوب، وتكفيرَ السيئات، والفوزَ بالجنات -إلى غير هذا من وجوه الخير-؛ فعليهم بتقوى الله -عز وجل-.**

واللهُ وَصَفَ أهلَ الجنة بالتقوى، فقال: ﴿إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى جَنَّٰتٍ وَعُيُونٍ﴾، **وقال -عز وجل-:** ﴿إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى جَنَّٰتٍ وَنَعِيمٍ﴾، **وقال:** ﴿إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ عِندَ رَبِّهِمْ جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ﴾...

آياتٌ كثيرةٌ تبيّنُ أنَّ الجنةَ دارُ المتقين، وأنَّ النارَ دارُ الفُجَّار -والعياذُ بالله-».

أقول: فهذا هو السبيلُ؛ لا سبيلَ غيرُهُ..

ومهما حاوَلَ المُحاوِلُون، ونظَّرَ المُنَظِّرُون؛ فالحقُّ ظاهرٌ، وطريقُهُ بيِّنٌ، ودعوتُهُ جليَّة..

فأينَ مِن هذا الحقِّ الصُّراح الطرائقُ الحِزبيَّة، والسُّبُلُ العصبيَّة؛ التي لا تزيدُ بلاءَ الأُمَّةِ إلا وبالا، ولا أحوالَها إلاَّ ضلالا؟!

* قال الشيخُ -رحمهُ اللهُ-:

«فبيّن -سبحانه- أنه أعدَّ الجَنَّةَ لأهل التقوى.

فعلمتَ -يا أخي- أنك في أشدِّ الحاجة إلى أنْ تتقيَ ربَّك، ومتى اتقيتَه -سبحانه- حقَّ التقوى؛ فُزتَ بكل خير، ونجوتَ من كل شرٍّ، وليس المعنى: أنك لا تُبتلى!».

أقول:... فبعضُ الناس يقول: طالما أنِّي على تقوى، وأن التقوى سببٌ لكل خير؛ إذن أنا مُبَرَّأ من البلاء، ومن الفتنة، ومن المحنة!

فهذا -بلا شَكّ- خَطأٌ مَحْضٌ، وغَلَطٌ ظاهِرٌ...

* قال الشيخُ -رحمهُ اللهُ-:

«...بل قد تُبتلى وتُمتحن -﴿لِيَمِيزَ ٱللَّهُ ٱلۡخَبِيثَ مِنَ ٱلطَّيِّبِ﴾-.

وقد ابتُلي الرسلُ -وهم أفضلُ الخلق، وأفضلُ المتقين- حتى يتبيَّن للناس صبرُهُم وشكرُهم، وليُقتدى بهم في ذلك.

فبالابتلاء يتبيَّنُ شكرُ العبد، وصبرُه ونجاتُه، وقُوَّتُه في دين الله -عزَّ وجلّ-، كما قال الله -عز وجل-: ﴿أَحَسِبَ ٱلنَّاسُ أَن يُتۡرَكُوٓاْ أَن يَقُولُوٓاْ ءَامَنَّا وَهُمۡ لَا يُفۡتَنُونَ﴾، وقال -تعالى-: ﴿وَلَقَدۡ فَتَنَّا ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡۖ فَلَيَعۡلَمَنَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ صَدَقُواْ وَلَيَعۡلَمَنَّ ٱلۡكَٰذِبِينَ﴾.

فلا بُدَّ من الامتحان والفتنة -كما تقدّم-، وكما قال -جل وعلا-: ﴿وَلَنَبۡلُوَنَّكُمۡ حَتَّىٰ نَعۡلَمَ ٱلۡمُجَٰهِدِينَ مِنكُمۡ وَٱلصَّٰبِرِينَ وَنَبۡلُوَاْ أَخۡبَارَكُمۡ﴾».

أقول: ﴿...حَتَّىٰ نَعۡلَمَ...﴾:

اللهُ يعلم؛ ولكنّ هذا (العلم) -هُنا- يسمى عند العلماء: (علمَ الوُجُود والمُشاهَدة)[1]:

وهو غيرُ (علم الكتابة)؛ فاللـهُ يعلـم مـا كـان، ومـا يكـون، وما لم يكن لو كان كيف كـان يكـون، لكـنَّ هـذا علـمُ المُـشاهدَة؛ لكي يقيمَ اللهُ -تعالى- الحُجَّةَ على عباده، و إلا فهو العليم الحكـيم -سبحانه وتعالى-.

* قال الشيخُ -رحمهُ اللهُ-:

«**وقال -سبحانه-:** ﴿وَنَبۡلُوكُم بِٱلشَّرِّ وَٱلۡخَيۡرِ فِتۡنَةٗۖ وَإِلَيۡنَا تُرۡجَعُونَ﴾.

وقال -سبحانه-: ﴿وَبَلَوۡنَٰهُم بِٱلۡحَسَنَٰتِ وَٱلسَّيِّـَٔاتِ لَعَلَّهُمۡ يَرۡجِعُونَ﴾.

فالاختبارُ لا بد منه: فالرسل -وهم خـير النـاس- امتُحِنوا بأعداء الله:

(١) -يعني: في الواقع- كما في «اللُّباب» (١٧/ ٤٦٨) -لابنِ عادِل-. وانظُر «معالم التنزيل» (٧/ ٢٨٩) -للبَغَوِيِّ-.

نوحٌ -عليه السلام- ماذا جرى معه[1] من قومه؟!
وهكذا هودٌ، وصالحٌ -وغيرُهم من الأنبياء-.
وعلى رأسهم نبيُّنا محمدٌ -صلى الله عليه وسلم- خاتَمُ النبيِّين، وإمامُ المتقين، وأفضلُ المجاهدين، ورسولُ رب العالمين».

أقول: فقد قال رسولُ الله -صلَّى اللهُ عليه وسلَّم-: «**ما أُوذي أحدٌ في الله مِثلَما أُوذيتُ**»[2]، ومع ذلك، ماذا دعا رسولُ الله -صلَّى اللهُ عليه وسلَّم- ربَّهُ؟

(١) هي فتنةٌ عظيمةٌ جدًّا.
وفي القرآن الكريم سورةٌ كاملةٌ تتكلّم عن نوح -عليه السلام-، وما جرى له.

(٢) رواهُ أبو نُعَيْم في «حِلية الأولياء» (٦/ ٢٣٣)، وابن عَدِيّ في «الكامل» (٧/ ١٥٥).
وحسَّنَهُ شيخُنا الإمامُ الألبانيُّ -رحمهُ اللهُ- في «السلسلة الصحيحة» (٢٢٢٢).

قال: «**اللهم اغفر لقومي فإنهم لا يعلمون**»[1]، وقد أُوذي منهم أشدَّ إيذاءٍ وأعظمَه.

* **قال الشيخ -رحمهُ اللهُ-:**

«قد عُلم ما أصاب رسولَ الله -صلى الله عليه وسلم- في (مكة)، وفي (المدينة)، وفي الحروب، ولكنه

(١) رواهُ الطبرانيُّ في «المعجم الكبير» (٦/ ٢٠٠) والآجُرِّيُّ في «الشريعة» (١٠٠٤)، والطحاويُّ في «مُشكل الآثار» (٢٤٨٨)، وابنُ حِبَّان (٩٦٩)، والفَسَوِيُّ في «المعرفة والتاريخ» (١/ ٣٣٨)، والبيهقيُّ في «دلائل النُّبُوَّة» (٣/ ٢٣)، وفي «شُعَب الإيمان» (١٤٤٨) -عن سهل بن سعد- بسندٍ صحيح.

وانظُر «السلسلة الصحيحة» (٧/ ١/ ٥٣٢) لشيخِنا.

ووَرَدَ لَفْظُهُ في: «صحيح البُخاريّ» (٣٤٧٧)، و«صحيح مسلم» (١٧٩٢) عن ابن مسعود مِن قولِه ﷺ؛ يحكيه عن نبيٍّ مِن الأنبياءِ -عليهم السَّلام-.

وانظُر «مجموع الفتاوى» (١/ ١٤٤).

صَبَرَ صبراً عظيماً؛ حتى أظهره اللهُ على أعدائه وخُصومه، ثم ختم له -سبحانه وتعالى- أنْ فَتَحَ له (مكة)، ودخل الناسُ في دين الله أفواجاً.

فلما أتَمَّ اللهُ النعمةَ عليه وعلى أُمَّته، وأكمل لهم الدينَ: اختاره إلى الرفيق الأعلى، وإلى جواره -عليه الصلاة والسلام- بعد المحنة العظيمة، والصبر العظيم، والبلاء الشديد.

فكيف يطمع أحدٌ بعد ذلك أن يَسْلَمَ، أو يقول: متى كنتُ متقياً -أو مؤمناً- لن يصيبَني شيء؟!

ليس الأمرُ كذلك؛ بل لا بُدَّ من الامتحان، وَمَن صبر حُمِدَ العاقبةَ، كما قال الله -عز وجل-: ﴿فَٱصْبِرْ إِنَّ ٱلْعَـٰقِبَةَ لِلْمُتَّقِينَ﴾، وكما قال: ﴿وَٱلْعَـٰقِبَةُ لِلتَّقْوَىٰ﴾.

فالعاقبةُ الحميدةُ لأهل التقوى متى صبروا واحتسبوا، وأخلصوا لله، وجاهدوا أعداءه، وجاهدوا هذه النفوسَ؛

فالعاقبةُ لهم في الدنيا والآخرة، كما قال -تعالى-: ﴿وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ فِينَا لَنَهۡدِيَنَّهُمۡ سُبُلَنَاۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَمَعَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ﴾».

أقول: فلنُفعِّل هذا السلاحَ الحقَّ التفعيلَ الحقَّ؛ بأن نكونَ على السُّنَّة السَّنِيَّة، والطريقة المَرْضِيَّة، وأن نكونَ كما أرادنا اللهُ: قائمين بأمره، مستجيبين لهديه، لا نخالفُ، ولا نتنكّبُ، ولا نُقصِّرُ...

الدعاءُ منا، وبين أيدينا، ونحن قادرون عليه، ومع ذلك -وللأسف-: نحن مقصّرون فيه!

وأمَّا إخوانُنا هناك -مع دعائنا لهم-: فإنَّنا نُوصيهم بالصبر والتقوى، كما هي وصيةُ الله، ووصيةُ رسول الله -عليه الصلاة والسلام-، ووصيةُ أهل الإيمان بعضِهم لِبعض.

ونُذكِّرهم بقول النبي -عليه الصلاة والسلام-: «**العبادة في الهَرْج كهجرة إليّ**»[1]؛ لأن الناس -حينئذٍ- غافلون، وعن عقولهم الراجحةِ بعيدون.

---

(١) تقدَّمَ تخريجُهُ.

فَمَن تفكّر وتدبّر وعرف أن العبادة -كالصلاة، والصيام، والدعاء، والقيام- لها مكانُها -وفاعليّتُها- في ساعة الغفلة، وفي ساعة الرعب، وفي ساعة القتل، وفي ساعة الاضطراب، وفي ساعة الفتنة؛ فهل لا يكون لذلك دورُه؟!

وهل لا يكون لذلك أجرُه؟!

وهل لا يكون لذلك ثمرتُه وغِبُّه؟!

بل سيكون ذلك على أعظم ما يريدُ اللهُ لعباده من عزٍّ ونصرٍ وتمكينٍ.

* قال الشيخُ -رحمهُ اللهُ-:

«فأنتَ -يا عبدَ الله- في أشدِّ الحاجة إلى تقوى ربِّك، ولُزومِها، والاستقامة عليها، ولو جرى ما جرى من امتحان».

أقول: ولو كان هذا الذي فَعَلَهُ اليهودُ -وَمَن والاهم مِن

الكفار- مِن بَطْشٍ كُبَّار! ولو تقوّى علينا مَن تقوَّى من أعداء الإسلام!! فالعاقبةُ للتقوى.

واللهِ؛ العاقبةُ للتقوى.

... قد أكونُ -الآن- ضدَّ من يُبَشِّرُ الناسَ ويُؤمِّلُهم -كثيراً- أنّا منصورون!

وإن كنت أحبُّ ذلك -وأرغبُ به - كما يحبُّ ذلك كلُّ مسلم؛ لكنْ -لا قدَّر الله- لو كان هذا الذي فينا امتحاناً -**كسائر الامتحانات والفتن والاختبارات السابقة**-؛ ماذا يفعلُ هذا الذي أمَّل الناسَ -كثيراً-، وكأنه أحياهم في بيئة النصر العظيم العزيز المؤزَّر، ثم لا يجدُ شيئاً مِن ذلك أمامه!!؟!

نحن نُحِبُّ النصرَ، ونُحِبُّ العزَّ، ونُحِبُّ التمكينَ، ونُحِبُّ ذُلَّ الكافرين؛ ولكنْ؛ على أن نكون في ذلك - على بيِّنة من أمرنا، أن يكونَ ذلك على أُسُسٍ ثابتة...

لا أن يكونَ ذلك -فقط- في الخُطَب، والمهرجانات، والمظاهرات، والمسيرات؛ تثويراً للحماسات، وتأجيجاً للعواطف الجارفات!!!

فهذا يستطيعُه كلُّ أحد، بل قد يستطيعُه غيرُ المسلمين أكثرَ مما يستطيعُهُ المسلمون!

فَالمسلم له أُسُسٌ وضوابطُ تَحْكُمُهُ وتُحْكِمُهُ، ولا يجوزُ أن نكون كغيرنا -هَمَجاً رَعاعاً-؛ ولكن إذا تكلَّمنا بكلمةٍ يجبُ أن نَفْهَمَها، وأن نُفهِمها -بالحقِّ- غيرَنا.

قد يَسْخَطُ غيرُنا تارةً! وقد لا يُعجبُهم كلامُنا حيناً! ولكنْ؛ سيعلمون -ولو بعد حين- **أن حُبَّنا للنصر هو الأساسُ، وأن حُبَّنا لرفع راية الإسلام وعزّ المسلمين هو الأصلُ؛ لكن لا نؤمّل المسلمين بخلافِ ما هم عليه! وبخلافِ واقعِهم المنظورِ الأليم! وبخلاف ما هم عليه من ظروفٍ الكلُّ يعرفها! والكلُّ يراها، لكننا -أحيانا- قد نستكبرُ عن رؤية ما هو منظورٌ أمامَنا؛ لأننا نركنُ إلى عواطفنا وحماساتنا!!**

ولا حول ولا قوة إلا بالله.

* قال الشيخُ -رحمهُ اللهُ-:

«فأنت -يا عبدَ الله- في أشدّ الحاجة إلى تقوى ربِّك، ولُزومها، والاستقامة عليها -ولو جرى ما جرى مِن الامتحان، ولو أصابك ما أصابك مِن الأذى، أو الاستهزاء مِن أعداء الله، أو مِن الفَسَقَة والمجرمين-؛ فلا تُبالِ».

أقول: واللهِ؛ لن نُباليَ؛ لأنّنا على علمٍ بوعد الله، ووعدُ الله حقٌّ.

﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِنْهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا﴾.

* قال الشيخُ -رحمهُ اللهُ-:

«واذكُرِ الرسلَ -عليهم الصلاة والسلام-، واذكرْ أتباعَهم بإحسان؛ فقد أُوذوا، واستُهزئ بهم، وسُخِر

بِهم، ولكنَّهم صبروا، فكانت لهم العاقبـةُ الحميـدةُ في الدنيا والآخرة».

أقول: وهكذا أتْبَاعُ الرُّسُلِ -عليهم السَّلام-؛ إذا صبروا، واتَّقَوْا، وأخْلَصُوا دينَهم لله...

* * * * *

الخاتمة

... نسألُ الله العظيم، ربَّ العرش العظيم: أن تكون العاقبةُ الحميدةُ في الدنيا والآخرة لعبادِ الله الصالحين، وأن يُعَجِّلَ اللهُ النصرَ والفرجَ والتمكينَ لسائر المسلمين، وأن يُخَفِّفَ اللهُ -عز وجل- عن إخواننا في (غزَّة)، وأن يُلهمَهم الصبرَ، وأن يرزُقَهُم الثباتَ، وأن يُؤذِن لهم بالنصر، وأن يَكْبِتَ عَدُوَّهم، وأن يخذل مُقاتِلَهم، إنه -سبحانه- وليُّ ذلك، والقادر عليه.

وصلى الله على نبينا محمد، وعلى آله، وصحبه أجمعين.

وآخرُ دعوانا أنِ الحمد لله رب العالمين.

والسلامُ عليكم ورحمةُ اللهِ وبركاتُه.

المحتويـات

* * * * *